

ذخائر العرب
٢٨

نساء الخلفاء

المسمى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

تأليف

تاج الدين أبي طالب على بن أنجب المعروف بابن الساعى
الخازن البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ هـ

حققه وعلق عليه
الدكتور مصطفى جواد



ذخائر العرب

٢٨

نساء الخلفاء

المسمى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

نساء الخلفاء

المسمى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

تأليف

تاج الدين أبي طالب علي بن أنجب المعروف بابن الساعي

الخازن البغدادي المتوفى سنة ٦٧٤ هـ

حققه وعلق عليه

الدكتور مصطفى جواد

الطبعة الثانية



دار المعارف

الناشر : دار المعارف - ١١١٩ كورنيش النيل - القاهرة ج.م.ع.

بسم الله الرحمن الرحيم وبه ثقتي

اما بعد حمد الله رب العالمين والصلاة على سيدنا محمد وآله
اجمعين فانني لما جمعت كتاب اخبار من ادرك خلافة ولدها
من جهات الخلفاء وان الغرض فيه العطا احببت ان اذكر من
اشتهر ذكره من حظايا الخلفا الحرا منهن والاما وبالله التوفيق

حمادة بنت عيسى

زوجة الامام ابي جعفر عبد الله المنصور اخبرنا عبد الوهاب
ابن علي الامين الخازن قال اخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشيباني
اخبرنا احمد بن علي الحافظ اخبرنا الحسن بن ابي بكر اخبرنا ابو سهل احمد بن

الورقة الأولى من كتاب « جهات الأئمة الخلفاء »

ام المعتضد التي ذكرناها وكان لها من [illegible] وادوات [illegible] جهات

النساء وذوات المروءات السابقة فقطر الندى بنت خمارويه

ابن احمد بن طولون التي تسمى اسماء زوجها الامام المعتضد بالله فزفت

اليها من مصر ووصلت الى بغداد في شهر [illegible] سنة [illegible]

وما [illegible] زفت اليه وكان معها من الجهاز ما لا يجاد [illegible]

في خزائن ملوك الارض وكانت من اعقل النساء واذكاهن [illegible]

ابو الحسن علي بن عبد الرحمن بن علي عن احمد بن المزرع عن ابي علي

[illegible] قال حدثني ابي ابو [illegible] بن محمد قال [illegible]

يقول يوما وقد جرى ذكر قطر الندى بنت احمد بن طولون زوجة المعتضد بالله

الورقة الخامسة والثلاثون من كتاب « جهات الأئمة الخلفاء »

الورقة الأخيرة من كتاب « جهات الأئمة الخلفاء »

تصـــدير

ابن الساعي مؤلف الكتاب وعصرُهُ

تاج الدين أبو طالب على بن أنجب، المعروف بابن الساعى، الموصوف بالخازن، كان بغداديًّا، وقد ولد ببغداد سنة ٥٩٣هـ-١١٩٦م، على عهد الخليفة أبى العباس أحمد الناصر لدين الله العباسىّ ، وكان عهداً زاهراً ، وَطَّدت فيه الدولة العباسية استقلالها ، وأَمِنت فيه الرعيَّةَ من كل خوف ، فرتعت فى طمأنينة مُستدامة ، وعدل شامل ، وحُرِّية واسعة ، وعيش رغيد ، وقد ذكره ابن جبير الرحالة فى كتابه قال : « وقد يظهر الخليفة فى بعض الأحيان بدجلة راكباً فى زورق ، وقد يصيد فى بعض الأوقات فى البرِّية ، وظهورُهُ على حالة اختصار ، تعميةً لأمره على العامَّة ، فلا يزداد أمره مع تلك التعمية إلا اشتهاراً ، وهو مع ذلك يحبُّ الظهور للعامَّة ويؤثر التحبُّبَ لهم، وهو ميمون النقيبة عندهم قد استسعدُوا بأيامه رخاءً وعدلاً وطيب عيش، فالكبير والصغير منهم داعٍ له [1] » .

وقال محبُّ الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجّار البغدادى: «دانت السلاطين للناصر ودخل فى طاعته من كان من المخالفين ، وذلّت له العُتاة والطغاة ، وانقهرت بسيفه الجبابرة ، واندحض أعداؤه ، وكثر أنصاره ، وفتح البلاد العديدة ، وملك من الممالك ما لم يملكه أحد ممَّن تقدَّمَ من الخلفاء والملوك ، وخُطب له ببلاد الأندلس وبلاد الصين ، وكان أسَدَ بنى العباس ، تتصدع لهيبته الجبال ، وكان حَسَنَ الخُلُق ، لطيف الخَلْق ، كامل الظّرف ، فصيح اللسان ، بليغ البيان ، له التوقيعات المسدَّدَة ،

(١) رحلة ابن جبير ، طبعة ليدن الثانية ص ٢٢٦ .

والكلمات المؤيَّدة ، وكانت أيامه غرَّةً فى وجه الدهر ودُرَّةً فى تاج الفخر (١) » .

وقال أبو عبدالله محمد بن سعيد بن الدَّبيثيّ الواسطى : « ولما تزل الرعية فى ظله وإنعامه يرجعون إلى أوفى أمنٍ ، وأوفر فضل،وأكمل مَنٍّ ، وأوسع معيشة ، وأرضى حياة وعيشة ، يعمُّهم العدل ، ويشملهم الفضل ، وتغمرهم الصدقات ، وتغنيهم الصِّلات ، وعمّر المساجد ، وجدَّدَ المشاهد ، وأنشأ الأربطة والمدارس ، وأحيا من الخيرات كلَّ دارس ، فالخلق فى إنعامه راتعون ، وله بدوام الملك وطول الحياة داعون ، والله تعالى يستجيب فيه دعاءهم ، ويَحْرُس من الغِيَرِ شريف سُدَّته، ويُحييه ما أحب الحياة ، إنَّه جواد كريم ومناقبه الشريفة ، وفضائله الكريمة أوفر من أن يحيط بها وَصْفُ الواصفين ، ويَحْصُرها تدوين المصنفين ، فنحن وإن رُمنا ذكر بعضها فبعجزِنا مُقِرّون ، وعن بلوغ الغاية فيها مُقصِّرون (٢) » .

وقال الموفق عبد اللطيف بن يوسف البغدادى : « كان الناصر شابًّا مرِحًا عنده ميعة الشباب ، يشق الدروب والأسواق أكثر الليل ، والناس يتهيبون لقاءه (٣) .

وكان قد ملأ القلوب هيبةً وخيفة ، فكان يرهبه أهل الهند ومصر كما يرهبُهُ أهل بغداد ، فأحيا هيبة الخلافة ، وكانت قد ماتت بموت المعتصم ، ثم ماتت بموته ، وكان الملوك والأكابر بمصر والشام إذا جرى ذكره فى خلواتهم خَفَضُوا أصواتهم هيبةً [له] وإجلالًا (٤) » .

وقال أبو الخطاب عمر بن دحية الكلبيّ : « وأخذَ [الناصر]، الأمر حقًّا وقوّة ، وفتح البلاد طاعة وعَنوة ، وطبَّقَتْ دعوتُهُ جميعَ الآفاق ، وطلعت شمْسُه باهرة الإشراق ، وأوقعَ بوزراء السُّوء على الإطلاق ، وقامَ بما عليه من العهد والميثاق .

---

(١) تاريخ الخلفاء للسيوطى ، ص ٤٦١ ، ٤٦٢ من طبعة الهند .

(٢) المختصر المحتاج إليه من تاريخ ابن الدبيثى « ١ : ص ٣٦ من المستدرك » .

(٣) نكت الهميان « ص ٩٣ » .

(٤) تاريخ الخلفاء للسيوطى « ص ٤٦١ » طبعة بلاد الهند .

وقد دخَلْتُ بغداد مراراً، واستأذنتُ سُدَّة الخلافة الناصرية — جعل الله الأقدار لها أنصاراً — فى الرواية بها وبواسط القصَب، فأَذِنَ لى سرًّا وجهراً، فامتثلتُ الإذنَ، وقطعت من كبار المصنفات أسفاراً، واستضأت من علوم السُّنة بما يُعَدُّ مع الصبح إشراقاً وإسفاراً، فحقُّهُ أولُ واجب يُؤَدَّى، وأوجبُ حق يُبَدَّى، فهو الخليفة الإمام الأهدٰى، صنو الغمام الأسكب الأندى، ومليك الأمَّة الذى جاوزَ ملكه المدَى، واحتاز الملوك عِبدّىٰ، وتبدّى علمه نوراً على علم الهُدٰى، فعلَّ وهدٰى، وغَمَرَ بالجُدى، وحكَّمَ المناصل فى هام العِدٰى، وحكم للبأس تارةً وطوراً للندٰى :

ترتاح أندية الندى والباس   من ذكر مولانا أبى العبّاسِ
نجل الخلائف وابن عم محمد   خير البريَّة من جميع الناس (١) ».

وقال أبو الحسن على بن أبى بكر الهروى السائح : «فوقع ابتداء ذكر الزيارات من مدينة حلب، وكان الواجب أن نبتدئ بذكر مدينة السلام — حرَسَها الله تعالى — إذ بها إمام المسلمين وخليفة الموحِّدين، وأمير المؤمنين وابن عمٍّ سيد المرسلين الإمام أبو العباس أحمد الناصر لدين الله أمير المؤمنين (كذا) ابن الإمام المستضىء بأمر الله، الذى رفع المظالم، وأمر بالمعروف ونهى عن المنكر، وأقام حدود الله، وأحيا سنة رسول الله، وعمَرَ الشريعة، وأظهر الصنيعة، وفقه الله لطاعته، وبلَّغَهُ نهاية آماله من دنياه وآخرته، بمحمد وآله وعترته (٢) » .

وقال ابن واصل الحموى : « كان الناصر لدين الله شهماً أبى النفس حازماً متيقظاً، ذا فكرة صائبة وعقل رزين ودهاء ومكر، وكانت هيبتُه عظيمة جدًّا، وكان له أصحاب أخبار فى العراق وسائر الأطراف يطالعونه بجزئيات الأمور وكلّياتها، وكان

---

(١) النبراس فى تاريخ خلفاء بنى العباس « ١٦٥ ، ١٦٦ » طبعة الأستاذ العزاوى .
(٢) الإشارات إلى الزيارات ص ١ ، ٢ « طبعة جانين سورديل بدمشق سنة ١٩٥٣ » .

لايخفى عليه من الأمور إلاَّ ما قلَّ ، وكان ذا سطوة شديدة ، فكان أهل العراق يخاف أحدهم [التحدث] مع زوجته فى منزله ، ربَّما يظن أن الخليفة إذا بلغه ذلك عاقب عليه (١) » .

وقال الذهبى . « لم يَلِ الخلافة أحد أطول مدَّة منه فإنه أقام فيها سبعاً وأربعين سنة ، ولم يزل مدة حياته فى عزّ وجلالة ، وقمع للأعداء واستظهار على الملوك ، ولم يجد ضَيْماً ، ولا خرج عليه خارجىّ إلا قمعه . ولا مخالف إلا دفعه ، وكلُّ من أضمرَ له سوءاً رماه الله بالخذلان ، وكان مع سعادة جَدِّهِ شديد الاهتمام بمصالح الملك ، لايخفى عليه شىء من أحوال رعيَّته كبارهم وصغارهم ، وأصحاب أخباره فى أقطار البلاد يُوصلون إليه أحوال الملوك الظاهرة والباطنة، وكانت له حِيَلٌ لطيفة، ومكايد غامضة، وخُدَع لا يَفْطُنُ لها أحد ، يُوقع الصداقة بين ملوك مُتعادين وهم لا يشعرون ، ويوقع العداوة بين ملوك متَّفقين وهم لا يفطنون (٢) » .

وفى الحق أنَّ عهد الناصر لدين الله كان عصر ازدهار للسياسة العربية والثقافة العقليَّة ، على اختلاف أنواعها ، والثقافة الجسميَّة على تعدُّد ضروبها ، فالازدهار السياسىّ قد نقلنا عليه شواهد من أقوال ثقات المؤرخين ، ولم نستطع أن نتبسط فى الكلام عليه لضيق المكان ، وأمَّا الازدهار الثقافى العقلى فقد بدا فى مظاهره الأصلية ، وهى المدارس والرُّبُطُ « الخانقاهات » فإنها معاهد روحية وعقلية معاً ، ودُورُ الكتب وخزائنها ، والتآليف باختلاف موضوعاتها ، وإقبال دولة الشعر بعد إدبارها ، ونبوغ الشعراء والكتاب والأدباء والمؤرخين والمحدثين والفقهاء والبلدانيِّين وأرباب الفنون

(١) اشفاء القلوب بأخبار بنى أيوب « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ، ١٧٠٢ الورقة ٢٣١ » وقد سميت هذه النسخة « تاريخ الواصلين فى أخبار الخلفاء والملوك والسلاطين » . والظاهر أن الواصلين تصحيف « الواصل » .

(٢) تاريخ الخلفاء للسيوطى « ص ٤٥٩ ، ٤٦٠ » طبعة بلاد الهند . ونقل هذا الكلام الصلاح الصفدى فى نكت الهميان « ص ٩٤ » ولم يشر إلى قائله .

والعلماء والفلاسفة والمدرسين والمهندسين والأطباء ، وكان الناصر قد جعل للشعراء ديواناً خاصًا في الدولة يسمى « ديوان الشعراء » وسُمِّي الشعراء المثبتة أسماؤهم فيه « شعراء الديوان » أى ديوان الدولة العباسية .

فالشعراء الذين نبغوا ، والذين اشتهروا على عهد الناصر لدين الله هم سبط ابن التعاويذى صاحب الديوان المطبوع ، الحافل بالشعر ، البالغ قمة الكمال من حيث الصناعة الشعرية ، والأبله [1] البغدادى صاحب الديوان المشتمل على فنون المدح والغزل ، وابن المعلم الواسطى الهرثى الشاعر الرقيق ، الذى شرّقت قصائده وغرّبت وغارت وأنجدت ، وابن الدنينير المنذرى الموصليّ صاحب الديوان الرائع الرائق [2] ، وعبد المنعم المصريّ النَّطرونى المهاجر إلى العراق الداخل — كان — فى خدمة الخليفة الناصر لدين الله سفيراً بينه و بين الملوك التابعين له ، وعبد الواحد بن عبدالرحمن ابن منصور المصرى الطائى المنتقل من مصر إلى العراق انتقال استيطان ، وأبو الأمانة جبريل بن صارم المصرى الصَّفَبيّ ، القادم من مصر إلى العراق للسكنى فيها ، والباز الأشهب عَلويّ بن عبيد الله الحِلّى ، والأمير ابن مقرّب العُيُونيّ [3] ، ورشيد الدين عبد الرحيم النابلسيّ ، وبهاء الدين على بن محمد بن رستم بن الساعاتى ، وراجح بن إسماعيل الحِلّيّ ، وعلى بن بطريق الحِلّيّ ، وأحمد بن جعفر الواسطيّ مُعارض قصيدة ابن زُريق أو رُزَيْق البغدادى ، والملك الأمجد بهرام شاه الأيُّوبى ، المحفوظ ديوانه الغزلى فى دار الكتب الوطنية بباريس ودار كتب الأوقاف ببغداد . وكمال الدين على ابن النبيه الشاعر الرقيق ، القائل فى مدح الخليفة الناصر أحمد بن الحسن :

بغدادُ مَكَّتُنا وأحمَدُ أَحمَدُ   حُجُّوا إلى تلك المنازل واسجُدُوا

---

(١) رأيت نسخة من ديوانه فى دار كتب طهران الوطنية بإيران . وقد صوره الدكتور حسين على محفوظ للأستاذ عبد الكريم الدجيلى .

(٢) منه نسخة فى خزانة الأستاذ الأديب أحمد عبيد الدمشقى .

(٣) طبع ديوانه مشروحًا فى بومبى سنة ١٣١١ فى « ٥٧٦ » صفحة متوسطة .

يا مُذنبين بِهـا ضَعُوا أوزارَكم وتَطَهَّرُوا بِتُرابِها وتَهَجَّدُوا
باب النجاة مدينـة العلم التى ما زال كوكبُ هَدْيِها يَتَوَقَّدُ

وابن سناء الملك صاحب الموشحات السائرة ، وأبو على محمد بن صدقة الخفاف ، ومحمد بن عبد الملك الوظائفى ، والفتى الشاطر عمر بن السِّفْت البغدادى الرامى الـكبير المتغزل بالطير الجليل و بقوس البندق ، وصاحب المخمّسة التى جمعت أصول الرمى عند الفتْيان ، وأنواع الطّيْر الجليل المقرّر صيدُهُ عندهم ، وأبو الشكر محمود بن سليمان ابن سعيد الموصلىّ المشهور بابن المحتسب ، وأبو العباس أحمد بن المؤمّل البغدادى ، ومؤيد الدين أبو البركات محمد بن أحمد بن زيد التكريتى صاحب الأبيات السائرة التى مطلعها :

ألا مبلغ عنّى الوجيه رسالة وإن كان لا تُجدى لديه الرسائلُ

ويحيى بن أبى زيد العلوىّ البصرىّ ، وأبو الحسن على بن إسماعيل العبدى البصرىّ ، وأبو عبد الله محمد بن المهنّا بن محمد البَنانىّ ، و يعقوب بن صابر المنجنيقىّ الحرانى الأصل البغدادى الذى يقول فيه ابن خلكان : « وكانت أخباره فى حياته متواصلة إلينا ، وأشعاره تنقلها الرواة عنه ، ويحكون وقائعه وماجرياته وما ينظم فى ذلك من الأشعار الرائقة والمعانى البديعة[1] » . وغير هؤلاء ممن يطول تعدادهم .

أما العلماء بمعنى العلم الصحيح فقد ظهرت كثرتهم فى عصر الناصر لدين الله ، منهم العلامة عبد اللطيف بن يوسف البغدادى مؤلف كتاب «الإفادة والاعتبار فى الأمور المشاهدة والحوادث المُعَاينة بأرض مصر» وأبو الرشيد مبشّر بن أحمد بن على الرازى الأصل البغدادى ، كان أوحد زمانه فى الحساب وخواص الأعداد والجبر والمقابلة والهندسة والهيأة وقسمة التركات ، وحوى من سائر العلوم طرفاً ، وكان ذا معرفة

(١) وفيات الأعيان « ٢ : ٥٠٥ » من طبعة بلاد العجم .

تامة بعلم الكلام والمنطق والهندسة، وله اطلاع على العلوم القديمة وأقوال العلماء فيها ومذاهبهم ، وله اليد الطولى فى عمارات الدور وقسمتها ، وهو الذى كلّفه الخليفة النّاصر لدين الله أن يختار الكتب لوقفها فى رباط زوجته « سلجوقى خاتون[1] » .

وسديد الدين جعفر بن القطّاع البغدادى ، وأبو الرضا محمد بن أحمد بن داود الحاسب المؤدب الملقب بالمفيد لكثرة إفادته بالحساب وأنواعه والأدب ، وله تصنيف وتعاليق فى علم الحساب ، وأبو شجاع محمد بن على بن شعيب المعروف بابن الدهان الحاسب البغدادى، كان عالماً بالرياضيات ومنها الهندسة و بالأدب . وله كتاب « تقويم المسائل الخلافية » منه نسخة بدار الكتب الوطنية بباريس،ونسخة أخرى فى خزانة الشاعر الكبير محمد رضا الشبيبىّ ، وقد ساح فى البلاد الإسلامية ونُشر علمه فيها، ثم استقر بدمشق إلى أن مات صلاح الدين الأيوبى . فتركها إلى العراق ، وأبو العباس أحمد بن أحمد بن على الواسطى الحاسب المصنف فى الحساب[2] ، وأبو الفضائل جعفر بن محمد بن عبدالسميع الهاشمىّ الواسطى ، من علماء الرياضيات أيضاً ، وعضد الدين المبارك بن محمد بن رئيس الرؤساء المهندس المتقن لأكثر الفنون . وكانت له اليد الطولى فى الهندسةوالرياضيات، وعلاء الدين محمد بن عبد الله الجوبغانى المنجم ، كان عارفاً عالماً بعلم النجوم والأحكام والعلوم الرياضية كالهندسة والحساب زيادة على علمه بالموسيقى ، وأبو الفضل الحازمى ، وشرف الدولة العسقلانى .

واشتهر فى عصر الناصر من المؤرخين عز الدين على بن الأثير ، وجمال الدين محمد ابن سعيد بن الدَّبَيْثىّ الواسطىّ،ومحمد بن أحمد القطيعىّ،ويحيى بن القاسم التكريتى وقيصر بن كمشتكين،وعمر بن دحية الكلبىّ،ومحمد بن أحمد القادسىّ،وقُثَم بن طلحة العباسى الزَّيْنَبىّ، ومحب الدين محمد بن محمود بن النجار، وأبو شجاع محمد بن على بن الدهان المقدم ذكره مع علماء الرياضيات ، وعبد اللطيف بن يوسف البغدادى

(١) تاريخ الحكماء « ص ١٧٧ من الطبعة المصرية » .

(٢) له كتاب « عمدة الرائض وعدة الفارض » .

المذكور آنفاً ، وهبة الله بن شُنَيف، وحَمَّاد بن هبة الله الحَرّانى ، وأسعد بن مَمَّاتى المصرىّ ، وبهاء الدين يوسف بن شداد الموصلى ، وأبو الفرج عبد الرحمن بن على ابن الجوزىّ ، وعبيد الله بن نصر بن المارستانىّ ، وياقوت الحموىّ ، والحسن بن محمد ابن حمدون البغدادى ، وعبد الله بن حنظلة البغدادى ، وغيرهم .

ويطول الكلام ويكثر القول إن ذكرنا الحكماء والأطباء والفقهاء ، والقضاة والمدرسين ، وأهل الفن ، ومن جرى مجراهم من أرباب الثقافة العقلية والثقافة الروحية .

سيرة المؤلف

فى هذا العصر وفى زمان هؤلاء ولد تاج الدين على بن أنجب بن الساعى ، وكان مولده فى شعبان من «سنة ٥٩٣هـ» ولم نجد لوالده «أنجب» ذكراً فى التاريخ ، وذلك يدل على أنه كان من العامّة لا من الخاصّة ، ويمكن أن يكون هو «الساعى» المذكور فى نسب «تاج الدين على» . والساعى : عَدَّاء يعدو فى مصالح غيره من التجار والأعيان ، بين القرى والبلدان . وكانت مجالس الحديث كثيرة فى زمان ابن الساعى ، والرُّواة فى وفارة ، فلما مَيَّز الأمور أخذ يسمع الحديث والأخبار والآثار ، فسَمع من أبى الحسن على بن محمد بن على الموصلىّ المعروف بابن اللباد الخياط، وهو عم الشيخ موفق الدين عبد اللطيف بن يوسف البغدادى الذى قدمنا ذكره مرتين، وكان قد سكن بغداد واشتهر بها بالرواية والدراية ، وتوفى بها سنة «٦١٤ هـ»[(١)] ولم نقف على السنة التى سمع منه فيها الحديث ، وقد سمع جامع البخارى على الحسن

(١) التكلة لوفيات النقلة لعبد العظيم المنذرى المصرى «نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ١٩٨٢ ج ١ الورقة ١٠٩» وتاريخ الإسلام للذهبى «نسخة دار الكتب الأهلية بباريس ١٥٨٢ و ٢١٢» وتاريخ بغداد لابن الدبيثى «نسخة كمبريج ، و ١٥٩ والنجوم الزاهرة «٦ : ٢٢١» والشذرات ٥ : ٦٠» .

والحسين ابنى المبارك بن الزّبيدى ، فأمّا الحسن بن الزبيدىّ فكنيته أبو على ، وكانت ولادته فى سنة « ٥٤٣ » ببغداد ، ودرس النحو والأدب وكتب كثيراً من كتب التفسير والحديث والتواريخ والأدب،وكان عالماً فاضلًا متديناً حسن الطريقة حنفى المذهب ، وطال عمره حتى حدّث كثيراً ، ورُتّب محدثاً فى مسجد قُمريّة على شاطىء دجلة بالجانب الغربى من بغداد، رتبه فى ذلك منشئ المسجد الخليفة المستنصر بالله العباسى سنة « ٦٢٦ هـ » . وتوفى سنة « ٦٢٩ هـ » ودفن بمقبرة جامع المنصور بالجانب الغربى من بغداد[١] . وأما أخوه الحسن بن الزّبيدىّ فكنيته أبو عبد الله وكان مولده سنة « ٥٤٥ هـ » وكان فقيهاً حافظاً ثقة ، توفى سنة « ٦٣١ هـ »[٢] .

وقرأ ابن الساعى الحديث أيضاً على جماعة يطول إثباتهم ، منهم المشهورون والمغمورون، فمن المشهورين أبو عبد الله محمد بن سعيد بن الدبيثى المقدم ذكره بين المؤرخين[٣] ، ومن المغمورين أبو القاسم سعيد بن معالى النخّاس[٤] وأجاز له أبو اليُمْن زيد بن الحسن الكِندىّ[٣] الأديب النحوى الفقيه المحدث البغدادى نزيل دمشق ، وقرأ القرآن الكريم بالقراءات المرويّة ، على أبى البقاء عبد الله بن الحسين العُكبَرىّ[٥] النحوى الأديب المشهور صاحب « التبيان فى إعراب القرآن » والمنسوب إليه « شرح ديوان أبى الطيب المتنبى » المطبوع غير مرة مع أنه تأليف

---

(١) الجواهر المضية فى طبقات الحنفية ، لمحيى الدين القرشى المصرى « ١ : ٢٠٠ » وتاريخ بغداد لابن الدبيثى» نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٧٤» والحوادث التى سميناها الحوادث الجامعة « ص٤ » و بغية الوعاة ٢٢٦ » . والتكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية » ١٩٨٢ د ، ج ٢ ص ١٠٣ ». والشذرات «٥ : ١٣٠»، وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى » ج ، الترجمة ١٩٩٥ من الميم . (٢) التكملة « الورقة ١٤١ » وتاريخ بغداد لابن الدبيثى « نسخة باريس ٢١٣٣ و ١٩٨ » والجواهر المضيئة « ١ : ٢١٦ » .

(٣) الجامع المختصر لابن الساعى « الصفحة ن من التصدير » .

(٤) منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ١٣٧ » .

(٥) تصدير الجامع المختصر أيضاً « ص ن » .

« عفيف الدين على بن عدلان الموصلى » المتوفى سنة ٦٦٦ هـ . وروى أيضاً عن جماعة بالإجازة .

ودرس ابن الساعى الأدب ، ولم نجد اسم الأديب الذى قرأ هو عليه الأدب ، إلا أننا عثرنا على أخبار تفيدنا اتّصاله بالرواية عن ياقوت الحموى ، وضياء الدين بن الأثير صاحب المثل السائر والجامع الكبير وغيرهما من التآليف الأدبية البلاغية ، ومحمد بن أبى الفضل الأديب ، وأبى البقاء عبد الله بن الحسين العكبرى النحوى الأديب الذى قرأ هو عليه القرآن ، كما ذكرنا آنفاً ، بالقراءات المسندة .

وأقبل ابن الساعى على التواريخ فقرأ « التاريخ المجدَّد لمدينة السلام » على مؤلفه محب الدين محمد بن محمود بن النجار المقدم ذكره آنفاً ، و « ذيلَ تاريخ بغداد » على مؤلفه جمال الدين محمد بن سعيد بن الدَّبيثىّ الواسطى ، وقد أسلفنا ذكره ، وطالع التواريخ على اختلاف أنواعها وعصورها ومواضيعها ، وبرع فى أكثر الفنون الدينية ، كالحديث والفقه والتفسير ، والفنون الأدبية كالتاريخ والأدب والأخبار والأشعار ، وقد نظم الشعر ، وخالط العلماء والفقهاء والأدباء ، وأرباب الدولة العباسية ، وكان لطيفاً ، مقبول الصورة ، دمث الأخلاق ، كريم الطباع ، منور الوجه ، وازداد فضلا على فضله بأنه كان قد صحب المشايخ والزهاد ولبس «سنة ٦٠٨ هـ» خرقة التصوف من شيخ الشيوخ أبى حفص عمر بن محمد السُّهْرَوَرْدىّ الشافعى ، وكان ابن الساعى نفسه شافعيًا ، ولذلك مال إلى التصوُّف ، لأنَّ التصوُّف والتشفُّع أَخَوان ، وذكره تقى الدين ابن قاضى شُهْبَة فى عداد الشافعية الأعلام قال :

« على بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله بن عبد الرحيم[1] ، المؤرخ الكبير ، تاج الدين أبو طالب البغدادىّ المعروف بابن الساعى . . . كان فقيهاً قارئاً بالسَّبْع ، محدثاً ، مؤرخاً ، شاعراً ، لطيفاً كريماً ، له مصنفات فى التفسير والحديث والفقه

(١) فى ذكر أجداده اختلاف كما سترى فى منقولاتنا .

والتاريخ وغير ذلك منها تاريخ في ستة وعشرين مجلداً[١] . . . » .

وقد التبس اسمُه « ابن الساعي » الذي هو العدَّاء باسم « ابن الساعاتي » نسبة إلى عمل الساعات البَنكاميَّة المائية وإدارتها ، فنسبوه إلى « بيتِ ابن الساعاتي » . ومن أولئك الناسبين له محيي الدين عبد القادر بن محمد القرشي المصري ، فقد ترجمه في كتابه « الجواهر المُضيَّة في طبقات الحنفيَّة » قال :

« علي بن أنجب بن عثمان بن عبيد الله بن الحارث ، عُرِف بابن الساعاتي . . . تقدَّم خاله أحمد بن علي بن تغلب الإمام، وذكره الحافظ الدمياطي في مشيخته[٢] » .

ولا صلة في الحقيقة بين بَيتيهما سوى ما أحدثه الوهم في النسخ والتصحيف فيه ، وكيف يكون أحمد بن علي بن تغلب خال ابن الساعي من حيث الزمان ، ومؤلف الجواهر المُضيئة يذكر في ترجمة هذا الخال المزعوم أنه أتمَّ تأليف بعض كتبه سنة «٦٩٠» هـ ؟ « ١ : ٨١ » مع أنَّ علي بن أنجب توفي سنة «٦٧٤» هـ كما جاء في جميع التواريخ التي ترجمَتْه[٣] ، ما عدا منتخب المختار فإنه لم يذكر وفاته ، والغريب في هذا الأمر أنَّ محيي الدين القرشي مؤلف الجواهر المضيئة كان مصرًّا على أنه ابن أخت مظفر الدين أحمد بن علي بن تغلب البعلبكي الأصل المذكور ، فإنه قد قال في ترجمة أحمد : « ويأتي ابن أخته علي بن أنجب[٤] » وهذا وهم منه .

وممن ذكره باسم « ابن الساعاتي » عبد الله بن محمد التجاني المغربيّ ، قال في بعض أخباره :

---

(١) طبقات الشافعية لابن قاضي شهبة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٠٢ الورقة ٦٨ »

(٢) الجواهر المضيئة « ١ : ٣٥٤ » .

(٣) الحوادث التي سميناها « الحوادث الجامعة ص ٣٨٦ » وطبقات الشافعية لابن قاضي شهبة ، الورقة ٦٨ » . وتذكرة الحفاظ للذهبي « ٤ : ٢٥٠ » . والوافي بالوفيات للصلاح الصفدي « نسخة المجمع العلمي العربي المصورة « ٨٨ : ١٢ » والمنهل الصافي والمستوفى بعد الوافي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » والشذرات « ٥ : ٣٤٣ » .

(٤) الجواهر المضيئة « ١ : ٨١ » .

« قال ابن الساعاتى فى تاريخه : كانت فاطمة بنت الحسين بن على — رضى — وهى أخت سكينة — عند الحسن بن الحسن بن على وكان محباً لها . . . »[١] .

ولعلّ الخلط بين نسبه ونسب ابن الساعاتى بعث جمال الدين بن تغرى بردى أن يظنّه حنفيًّا مع أن الأدلّة متضافرة على أنه كان شافعياً ، و بيان ذلك أن ابن تغرى بردى بعد أن ترجمه فى كتابه باسم « على بن الأنجب بن عثمان بن عبد الله الشيخ تاج الدين أبو الحسن وأبو طالب الشيخ الإمام المؤرخ خازن المستنصرية ببغداد عرف بابن الساعى[٢] . . . » أعاد ترجمته باسم « على بن الحسين بن عثمان بن عبيد الله ابن عبد الله بن عبد الرحيم الفقيه العلامة تاج الدين أبو طالب البغدادى المعروف بابن الخازن مؤرخ العراق . . . » قال : « أظنه حنفى المذهب[٣] » . وقد ظنه رجلًا آخر كما هو ظاهر من عبارته فى الترجمتين ، لوجود « الحسين » فى نسبه مكان « أنجب » .

وقد عرف ابن الساعى بصفة « الخازن[٤] » وهو اصطلاح لمن يخزن الكتب و يحفظها ، على أن أبا سعد بن السمعانى قال فى الأنساب : « الخازن . . . هذه النسبة لجماعة ، منهم من كان خازن الكتب ، ومنهم من كان خازن الأموال » ثم قال « وأبو منصور محمد بن على بن إسحاق بن يوسف الكاتب الخازن خازن دار العلم ببغداد . . . » . وقريبٌ من ذلك فى اللباب وهو مختصر الأنساب . وذكر ابن رافع السّلامى أنه كان خازن الكتب بالمدرسة النظاميّة[٥] ، وذكر مؤرخون آخرون أنه كان خازن كتب المدرسة المستنصرية ، كما نقلنا آنفاً . ولا شك أنّ خزنه

---

(١) تحفة العروس ومتعة النفوس « نسخة أوقاف بغداد ، الورقة ١٠١ » .

(٢) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » .

(٣) المرجع المذكور « الورقة ١٢١ » .

(٤) منتخب المختار « ص ١٣٧ » والمنهل الصافى فى المرجع المشار إليه . والوافى بالوفيات وتذكرة الحفاظ ، فى الموضعين المقدم ذكرهما آنفاً . والإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ لشمس الدين السخاوى « ص ٩٦ ، ١٢٣ ، ١٥٦ » وقد زل قلمه سهواً فسماه « ابن الخازن فى ص ١٤٦ » .

(٥) منتخب المختار « ١٣٧ ، ١٣٨ » .

للكتب فى هاتين المدرستين أعانه على الاطلاع على كثير من كتب الأدب والتاريخ . وقدزاد عدد الكتب فى خزانة هذه المدرسة منذ سنة « ٥٨٩ » هـ ، ففيها بنى الخليفة الناصر لدين الله دار كتب جديدة بالنظاميّة ونقل إليها عشرة آلاف مجلّد فيهـا الخطوط المنسوبة وغيرها[١] ، كما أنه استفاد من خزائن الكتب الأخرى. قال القفطى فى ترجمة برهان الدين أبى الرشيد مبشر بن أحمد الحاسب المقدم ذكره : « وتميّز فى أيام الناصر لدين الله أبى العباس أحمد وقرب منه واعتمده فى اختيار الكتب التى وقفها بالرباط الخاتونى السلجوقى و بالمدرسة النظامية و بدار المسناة ، فإنه أدخله إلى خزائن الكتب بالدار الخليفية وأفرده لاختيارها[٢] » . أراد بالرباط الخاتونى الرباط الذى بناه الناصر لدين الله لذكرى زوجته سلجوقى خاتون بنت قليج أرسلان السلجوقى سلطان بلاد الروم يومئذ ، بالجانب الغربىّ من بغداد على شاطئ دجلة ، وسيأتى ذكره فى ترجمتها من هذا الكتاب ، وقد وقف ابن الساعى كتبه على المدرسة النظامية[٣] قبل موته بقليل كما هو عادة العلماء الواقفين كتبهم على المدارس . وفعل ذلك قبله محب الدين محمد بن النجار المؤرخ[٤] .

وكان عصر الناصر لدين الله عصر تعظيم لأهل العلم والأدب والفنّ ، وكان الأمراء ممن يختلفون إلى دور الكتب والمعـاهد العلمية وفيمن يختلف إليها ، قال عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد بعد إيراده قصيدة ابن الزِّبَعرى اللاميّة : « وعلى ذكر هذا الشعر فإنى حضرت وأنا غلام بالنظامية ببغداد فى بيت عبد القادر بن داود الواسطى المعروف بالمحبّ خازن دار الكتب بهـا وعنده فى البيت باتكين الرومى الذى ولى إرْبلَ أخيراً ، وعنده أيضاً جعفر بن مكىّ الحاجب فجرى ذكر يوم أحـد وشعر

---

(١) النجوم الزاهرة « ٦ : ١٣٢ » .

(٢) أخبار الحكماء « ص ١٧٧ » .

(٣) طبقات الشافعية لابن قاضى شهبة « الورقة ٦٨ » .

(٤) فوات الوفيات « ٢ : ٥٢٣ » طبعة مطبعة السعادة بمصر .

ابن الزِّبَعرى هذا وغيره[١] » . وعبد القادر بن داود الواسطيّ هذا قد ذكره الصلاح الصفدى فى الوافى بالوفيات وذكر فى سيرته أنه قد تولّى النظر فى دار الكتب الناصرية [بالنظامية] ثم توفى سنة « ٦١٩هـ[٢] » .

فاشتغال ابن الساعى بالعلم والأدب وحُسن أخلاقه وجمال سيرته جعلته محترماً بين الناس ، مكرّماً عنـد أرباب الدولة العباسية ، فقد ذكر شمس الدين الذهبى أنّ شرف الدين إقبالاً الشرابى مقدّم الجيوش العباسية كان يحترم ابن الساعى ويبعث إليه بالدنانير،ونقل الصفدى قول الذهبى هذا[٣] .ثم إنّ مخالطته لأرباب الدولة مهّدت له سبل الاطلاع على مكتوبات الدواوين الرسمية المخزونة فى الأسفاط والقماطر التى يصعُب على غيره من المؤرخين الوصول إليها ، أستدللنا على ذلك بما صَرَّح هو به فى آثاره ، ففى سنة « ٦٠٤ » أسند التدريس فى مشهد الإمام أبى حنيفة النعمان إلى الشيخ أحمد بن مسعود التركستانى وفى ذلك يقول ابن الساعى : « وكُتِبَ تَوقيعٌ من المخزن المعمور بإنشاء مجد الدين محمـد بن جميل كاتب المخزن المعمور يومئذ ومن خطّه نقلت وهذه نسخته[٤] . . . » .

وبذلك الجاه أيضاً وكونه معظماً عند الأكابر والأعيان كثير التردد إليهم نقل أخباراً من أرباب الدولة وأعوانها وعنهم لا يعرفها أحد من المؤرخين، ولم يذكرها غيره ، فصارت مادة تاريخية غزيرة ، ولولا هىَ لنقص التاريخ نقصاناً مؤسفاً. وثقافته العقلية الواسعة جعلته يَفْتَنُّ فى تأليف كتب التاريخ والأدب إلا أن أكثر تآليفه فى

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٣ ص ٣٨٢ طبعة دار الكتب العربية الكبرى » ، .

(٢) الوافى بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٣٩ » .وله ترجمة فى تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ الترجمة ٦٨٧ من الميم » .

(٣) المنتقى من معجم الذهبى الكبير لابن قاضى شهبة « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٤١ » . والوافى بالوفيات « نسخة المجمع العلمى العربى ٨٨ : ١٢ » .

(٤) الجامع المختصر فى عنوان التاريخ وعيون السير لابن الساعى » ج ٩ ص ٢٣٣ » .

التاريخ ، وقد ساعده على فَنّه أنه عاش فى عصور دولتين متعاديتين أولاهما الدولة العباسيّة والثانية الدولة المغولية الإيلخانية التى أسسها هولاكو بغربى إيران والعراق و بلاد الروم ، على أنه قضى « ثلاثاً وستين سنة » فى ظل الدولة العباسيّة أعنى من سنة « ٥٩٣ » إلى سنة « ٦٥٦ هـ » وساخ « ثمانى عشرة سنة » فى حكم الدولة الإيلخانية المقدم ذكرها ، والظاهر أنه تولّى الخزن بدار الكتب فى المدرسة المستنصرية على عهد الدولة الإيلخانية بالعراق ، وقد جاء فى بعض المراجع التاريخية المجهولة المكان فى ترجمة عز الدين عبد الحميد بن أبى الحديد المدائنى شارح نهج البلاغة أنه لما أخذ هولاكو بغداد وقرض الدولة العباسية ، كان عز الدين هذا ممن نجا من القتل فى دار الوزير مؤيد الدين محمد بن العلقمى ببغداد مع أخيه موفق الدين ، فحضر بين يدى الخواجه نصير الدين محمد بن محمد الطُوسى الحكيم المشهور ففوّض إليه أمر خزائن الكتب ببغداد مع أخيه موفق الدين والشيخ تاج الدين على بن أنجب بن الساعى(١) . ولم تطل أيام صاحبيه فقد ماتا فى السنة عينها ، و بقى هو فى عمله الجديد .

ولم يسلم من مَعَرَّة الحرب وفواجعها ، و إن سلمت روحه من الإزهاق فقد أفقدته ابنه كمال الدين أبا القاسم عبيد الله، وكان شاباً سرياً ذكياً، أشغله والده بحفظ القرآن وأسمعه الحديث وكتب خطاً مليحاً ، وتوصل إلى جعله حاجباً من الحجاب ، وقد ذكره والده تاج الدين فى تاريخه ، قال : « وفى ذى الحجة سنة خمسين وستمائة رُتِّب ولدى أبو القاسم عبيد الله مشرفاً بباب مسرور ، وكان مولده يوم الجمعة سابع شعبان سنة اثنتين وثلاثين وستمائة(٢) .

وأكثر كتبه ألّفها فى أيام الدولة العباسية ، ومنها كتاب « جهات الأئمة الخلفاء

---

(١) شرح نهج البلاغة « ج ٤ ص ٥٧٥ » نقلا من معجز الآداب فى معجم الألقاب (كذا) » لكمال الدين بن الفوطى، ومما يدل على أن الناقل لم يقف على نسخة الأصل أنه جعل اسم المؤلف « أحمد » مع أنه « عبد الرزاق بن أحمد » .

(٢) تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى « ج ٥ الترجمة ٤٢٥ من الكاف » طبعة لاهور بالهند .

من الحرائر والإماء » هـذا ، ألا تراه يقول فى ترجمة « شاهان » جارية المستنصر بالله العباسى :

«ولما توفى مولاها الإمام المستنصر بالله كرم الله مثواه، وجعل الجنة مأواه، وبويع ولده سيدنا ومولانا الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين — أيد الله شريف دولته القاهرة،و بلغه آماله فى الدنيا والآخرة — أجراها على عادتها فى الإكرام، ووفَّر نصيبها من التبجيل والإعظام[1] . والنظر إلى قائمة مصنفاته يدلنا على افتنانه فى التصنيف و إيغاله فيــه وسعة معارفه ، قيل إن الذى حُصِر من مؤلفاته « مائة وثلاثة وثلاثون مجلداً[٢] » ، وكان محظوظًا فى التأليف، فلما ألف كتاباً فلم ينل به جائزة ، قال صاحبه محمد بن سعيد : ما كان يكتب مجلدًا فى التاريخ إلا يحصل له فى مقابله المائة دينار والثلاثمائة . وهذا يطعن فى حياده عند أهل التحقيق والتدقيق . وألف كتاب « غزل الظراف ومغازلة الأشراف » فى مجلدين فأجازه عليه الخليفة المستنصر بالله العباسى بمائة دينار ، وصنف كتاب نزهة الأبصار فى أخبار ابنى المستعصم بالله العباسى فأجيز عليه بمائة دينار كذلك ، وألف « التاريخ المُعْلَم الأتابكى » لنور الدين أرسلان شاه ابن زنكى بن أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكى صاحب شهر زور بالتماس منه فأجازه عليه بمائة دينار أيضاً[٣] ، وألف كتاب « الإيناس بمناقب بنى العباس » فأعطاه المستنصر بالله مائة دينار أيضاً ،وقال الذهبى : « أورد ظهير الدين على بن محمد الـكازرونى فى ترجمة ابن الساعى أسماء التصانيف التى صنفها وهى كثيرة جدًّا لعلَّها وقر بعير[٤] .

وقد بقيت تلك التآليف مراجع مهمَّة ، كثيرة المادة والنفع للمؤرخين فاستمدوا منها

(١) جهات الأئمة الخلفاء « نسخة خزانة ولى الدين بالآستانة ٢٦٢٤ الورقة ١٣٠ » .

(٢) المنهل الصافى فى الموضع المقدم ذكره .

(٣) منتقى المعجم الكبير للذهبى والوافى بالوفيات والمنهل الصافى فى المواضع المذكورة آنفاً .

(٤) تلخيص المعجم وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة والوافى بالوفيات .

فى كتبهم ، ومنهم كمال الدين بن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب،فإنه يكثر فيه من قوله « ذكره شيخنا تاج الدين بن الساعى فى تاريخه » . وينقل أحياناً من تواريخ ابن الساعى الخاصة كما سيأتى شرحه، ومنهم شمس الدين الذهبى نقل من غير كتاب من كتبه، وابن كثير الدمشقى فى كتابه «البداية والنهاية» وعلى بن الحسن الخزرجى فى تاريخه « العسجد المسبوك فى تاريخ دولة الإسلام والملوك » وقد سماه « ابن الخازن » قال فى حوادث سنة ٦٤٢ : « هكذا قال ابن الخازن [1] » . والصواب « الخازن » ومنهم « الصفدى »مثال ذلك قوله فى افتتاح المدرسة المستنصرية ببغداد سنة ٦٣١ . « وفيها فتحت المدرسة المستنصرية ببغداد ... قال ابن الساعى حمل: إليها من الكتب مائة وستون حملاً سوى ما نقل إليها بعد ذلك وسوى ما أحضره أرباب الدولة والمتولون من كتبهم تقرباً إلى قلب الخليفة [2] . ومنهم مؤلف كتاب الحوادث الذى سميناه « الحوادث الجامعة » استرجاحاً [3] ، ومنهم المؤرخ عبد الرحمن الإربلى فى كتابه خلاصة الذهب المسبوك[4] » كما سنذكره قريباً ، وعبد الله بن محمد التجانى المغربى فى كتابه « تحفة العروس ومتعة النفوس » وقد أشرنا إلى ذلك قبلاً . وفخر الدين أبو الفضل محمد بن على بن أبى اليامن بن أمسَيْنا الواسطى الكاتب المؤرخ قال ابن الفوطى : كان عارفاً بالحساب والضبط فى الكتابة والخط ، والتَقَطَ فوائد تاريخ شيخنا تاج الدين أبى طالب [ابن الساعى] وهو عالم بالحوادث والتواريخ [5] » .

وقد سمع من ابن الساعى الحافظ الكبير المؤلف الشهير شرف الدين أبو محمد عبد المؤمن بن خلف الدمياطى بالمدرسة النظامية ببغداد ، وذكره الدمياطى فى معجمه

---

(١) العسجد المسبوك « نسخة دار الكتب المصرية » الورقة ١٦٥ .

(٢) تاريخ الصفدى المرتب على حوادث السنين « نسخة خزانة الأوقاف بحلب ، أرقامها ١٢١٦ حوادث سنة ٦٣١ » . (٣) الحوادث الجامعة ؟ « ص ٢٥٢، ٢٦٢ » .

(٤) خلاصة الذهب المسبوك « ، ص٩٦، ١٦٢ » .

(٥) تلخيص معجم الألقاب « ج ٤ الورقة ٣٣٦ من نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق » ويظهر لى أنه مؤلف كتاب « الحوادث » المقدم ذكره أيضاً .

وأورد له حديثاً بروايته إياه عنه ، وأبو الفضل عبد الرازق بن الفوطى ، وتقى الدين محمود بن على الدقوقى[١] ، ولكنه لم يشتهر فى الحديث ، ولاصرف همته إلى روايته لعنايته بالتواريخ وتوفّره عليها ، على أنه ألّف كتاب « الإيضاح عن الأحاديث الصحاح » و « الأحاديث الثُمانيَّة[٢] » أى التى روى كل حديث منها عن ثمانية شيوخ ، والثمانيات معروفة فى فنون الحديث[٣] .

وخلاصة القول أن تاج الدين على بن الساعى كان من كبار مؤرخى القرن السابع بالعراق ، وأصدقهم لهجة وأوسعهم تصنيفاً وأطولهم نفساً فى الكتابة ، وأبعدهم ذكراً فى التواريخ . وأنه كان إلى ذلك من الأدباء والمحدّثين المشاركين لا من المتخصّصين. قال شمس الدين الذهبى فى ترجمته : «وقد تكلّم فيه وله أوهام[٤]» . ولم يُفصح الذهبى عن حقيقة ذلك الكلام وتلك الأوهام، ولا عن السبب الذى قيلت فيه، أكان متساهلاً فى الأخبار أم مجازفاً أم مزخرفاً أم مبالغاً أم كاذباً أحياناً ؟ ليس فى استطاعتنا الجواب لأن الدعوى عليه عامّة مُرسلة ، ولكن إقبال المؤرخين والأدباء على كتبه ، و إطباق عامتهم على توثيقه ، وانتشار أقواله فى الكتب تدلنا على إسراف من تكلم فيه ، ولم يُرد الذهبى بذلك القول إلا الإخبار والإعلام، لتكون ترجمته إياه محيطة بالمهم من سيرته ، ولم يؤكد الرجل اتهامه ولا نفاه عنه بل حايَدَ واعتزل ، أما الأوهام التى ذكرها فممكن وقوعها من ابن الساعى ، وقلّ من يسلم من المؤرخين والأدباء والمؤلفين عامة من الأوهام . وهاهنا لا يجوز أن نقول للذهبى : وما أوهام ابن الساعى ؟ لأن معجمه إنماهو لذكر السِّير والضرورى من الأخبار لا للتتبع والنقد ، ولا للمؤاخذة والاستدراك والتصحيح .

---

(١) منتخب المختار « ص ١٣٨ » .

(٢) المنتخب « ص ١٣٨ » وجاء فيه « اليمانية » من غلط النسخ أو الطبع .

(٣) كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون لحاجى خليفة فى « الثمانيات » .

(٤) منتق المعجم الكبير فى الموضع المشار إليه آنفاً .

توفى تاج الدين بن الساعى فى ليلة الواحد والعشرين من شهر رمضان سنة ٦٧٤ ببغداد[١] ودُفن بمقبرة الشونيزية بالجانب الغربى من بغداد[٢] ، وهى مقبرة الصوفيَّة وذوى المشرب الصوفى وإن لم يتصوفوا ، وفيها دفن « الجُنَيد بن محمد » الصوفى الزاهد المشهور ، ولا يزال قبر الجنيد معروفاً مَزُوراً . وآخر كتاب ألَّفه ابن الساعى هو كتاب « الزُّهاد » وقد وُجدَ على هذا الكتاب بخط الشيخ زكى الدين عبد الله بن حبيب الكاتب المشهور هذه الأبيات :

ما زال تاجُ الدين طول المدى   من عمره يُعْنِقُ فى السَّيرْ
فى طلب العلم وتدوينه   وفعلُه نفع بلا ضَيرْ
علا عليٌّ بتصانيفه   وهذه خاتمةُ الخيرْ[٣]

وهذا ثبت مصنفات ابن الساعى :

١ — الأحاديث الثمانية الغالية ، فى الثمانية العالية ، قدمنا ذكرها فى الكلام على اشتغاله بالحديث وبيّنا معناها . ذكرها حاجى خليفة فى كشف الظنون عن أسامى الكتب والفنون[٤] .

٢ — أخبار الأدباء وهو كتاب كبير فى خمس مجلدات (جمع مجلدة) ذكره مؤلف كشف الظنون ، وادّعى بعض الباحثين أنه كان محفوظاً فى بعض خزائن الكتب بحلب ، ولم نقف على شىء من حقيقته .

٣ — أخبار الحسين بن منصور الحلاج ، ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون وأعاد ذكره فى التواريخ .

---

(١) المراجع المذكورة ماعدا الجواهر المضيئة « ١ : ٣٥٤ » فقد جاء فى المطبوع منها أنه توفى سنة « أربع وستين وستمائة » والظاهر أن « ستين » تصحيف سبعين » .

(٢) المرجع المذكور « ١ : ٣٥٤ » .

(٣) الحوادث « ص ٣٨٦ » .

(٤) كشف الظنون « ١ : ١٤ » طبعة نظارة المعارف التركية .

٤ — أخبار الخلفاء ، ذكره مؤلف الكشف قال : « وهو كبير فى ثلاث مجلدات » وذكره ثانية في التواريخ ، وأما هذا المطبوع المسمَّى « مختصر أخبار الخلفاء » فهو مدسوس عليه ، نحله إياه بعض المزوِّرين الذين اعتادوا التزوير فى كل أمورهم وشؤونهم .

٥ — أخبار الربط والمدارس ، ذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون فى بابه وفى تاريخ ابن الساعى .

٦ — أخبار قضاة بغداد ، ذكره هو أيضاً فى بابه وفى التواريخ .

٧ — أخبار المصنفين ، ذكره[1] فى بابه وقال « ست مجلدات » وأعاد ذكره فى التواريخ .

٨ — الأخبار النبوية، جاء ذكره فى منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ١٣٨ » .

٩ — أخبار الوزراء ، ذكره حاجى خليفة فى مادة « أخبار » وقال فى مادة كتاب الوزراء : « لإسماعيل بن عباد الوزير المعروف بالصاحب ، وذيله الشيخ تاج الدين على بن أنجب بن الساعى فى مجلد » . وذكره شمس الدين السّخاوى فى الإعلان بالتوبيخ لمن ذم التاريخ « ص ٩٧ » .

١٠ — إرشاد الطالب إلى معرفة المذاهب ، جاء ذكره فى منتخب المختار المقدم ذكره « ص ١٣٨ منه » .

١١ — الإشارات الموفّقيّة فى علماء الدولة البويهيّة ، ذكره تلميذه عبد الرحمن الإربلى فى تاريخه، وخلاصة الذهب المسبوك » — ص ١٩١ — قال : « وقد جمع

---

(١) أعنى حاجى خليفة مؤلف كشف الظنون .

الشيخ تاج الدين على بن الحسن المعروف بابن الساعى شيخنا — رحمة الله عليه — فى ذلك كتاباً سماه الإشارات الموفقية فى علماء الدولة البويهية » .

١٢ — اعتبار المستبصر فى سيرة المستنصر ، جاء ذكره فى منتخب المختار «ص ١٣٨» وذكره الذهبى فى تاريخه ومعجمه، وعبدالرحمن الأربلى فى كتابه « خلاصة الذهب المسبوك ص ٢١١ » والصفدى فى الوافى بالوفيات ، وحاجى خليفة فى كشف الظنون .

١٣ — الاقتفاء فى ذيل طبقات الفقهاء ، وهو ذيل على طبقات الشافعية الذى ألفه قبله. ذكره كمال الدين بن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب غير مرة ونقل منه .

١٤ — الإيضاح عن الأحاديث الصحاح ، ورد ذكره فى منتخب المختار .

١٥ — الإيناس بمناقب الخلفاء من بنى العباس ، قدمنا الكلام عليه فى سيرته ، ذكره الذهبى والصفدى فى ترجمته من المعجم الكبير للأول والوافى بالوفيات للثانى ، وذكره حاجى خليفة فى كشف الظنون ، وقال عبد الرحمن الأربلى فى خلاصة الذهب المسبوك « ص ٢١٤ » فى ترجمة الخليفة المستعصم بالله : « وقد ذكر الشيخ تاج الدين على بن الحسن البغدادى من ذلك فى كتابه الموسوم بكتاب الإيناس فى مناقب الخلفاء من بنى العباس ».

١٦ — بشارة من بلغ الثمانين ، ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب ونقل منه .

١٧ — بلغة الظرفاء إلى معرفة تواريخ الخلفاء ، ذكره مؤلف كشف الظنون فى مادة « تاريخ الخلفاء » وهو غير المطبوع .

١٨ — تاريخ الخلفاء . ذكره هو أيضاً فى الكشف فى تواريخ الخلفاء ، ولعله أحد التواريخ المسمّيات باسم خاص وذكره من حيث عموم الموضوع .

١٩ — تاريخ الشهود والحكام ببغداد ، ذكره حاجى خليفة فى كتابه قال : « وهو كبير فى ثلاث مجلدات » .

٢٠ — تاريخ من أدركت خلافة ولدها . واسمه الأصلى « أخبار من أدركت خلافة ولدها » ذكره المؤلف — أعنى ابن الساعى — فى خطبة كتابه هذا « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » قال : « أما بعد حمد الله رب العالمين . والصلاة والسلام على سيدنا محمد وآله أجمعين، فإنى لما جمعت كتاب أخبار من أدركتُ خلافة ولدها من جهات الخلفاء، ذوات المعروف والعطاء، أحببت أن أذكر من اشتهر ذكرها من حظايا الخلفاء ، الحرائر منهُنَّ والإماء ، وبالله التوفيق » ، فللمؤلف إذن كتابان فى نساء الخلفاء ، وقد حسبهما الذهبى ، وبعده الصفدى، كتاباً واحداً ، قال الأول فى معجمه الكبير : « تاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء » ولم يذكر الثانى وتابعه ابن تغرى بردى يوسف قال : « وتاريخ نساء الخلفاء من الحرائر والإماء ومنهن سمر أم أولاد المستعصم الأمراء : أحمد وعبد الرحمن ومبارك » . وأعاد ابن تغرى بردى قول الصفدى فقال : « وتاريخ نساء الخلفاء من الأحرار (كذا) والإماء ومنهن سمر أم أولاد المستعصم الأمراء: أحمد وعبد الرحمن ومبارك[١] ». وذكره كاتب جلبى فى مادة « نساء الخلفاء » من كشف الظنون ، والسخاوى فى الإعلان بالتوبيخ « ص٩٦ » ، وذكره عبد الرحمن الأربلى فى خلاصة الذهب المسبوك « ص١٩٧ ، ٢٠٣ » .

٢١ — الجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير ، ذكره حاجى خليفة فى تاريخ ابن الساعى وكأنه عناه أيضاً بقوله : « تاريخ ابن الساعى هو على بن أنجب البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ وهو تاريخ كبير على ثلاثين مجلداً[٢] » .

(١) المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس» ٢٠٧١ الورقة ١١٨».

(٢) وجدت المجلد التاسع منه أو الجزء التاسع منه فى خزانة الكتب التيمورية بدار الكتب المصرية وقد طبعته ببغداد وعلقت عليه سنة ١٩٣٤ .

٢٢ — جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء، وهو هذا الكتاب وقد قدمنا الإشارة إليه .

٢٣ — الحث على طلب الولد . ذكره الذهبي في معجمه ، والصفدي في الوافي بالوفيات، قال الذهبي «ألفه باسم مجاهد الدين أيبك الدويدار الصغير ، وقدّمه له يوم عُرسه على ابنة صاحب الموصل لؤلؤ »[١] : وذكره الصفدي في الوافي ، وحاجي خليفة في كشف الظنون باسم « كتاب الحث على طلب الولد » .

٢٤ — حسن الوفاء لمشاهير الخلفاء. ذكره حاجي خليفة في مادة «تاريخ الخلفاء».

٢٥ — ذيل تاريخ بغداد . ذكره السخاوي في الإعلان بالتوبيخ « ص١٢٣ » .

٢٦ — ذيل كامل التواريخ الذي لابن الأثير ، ذكره حاجي خليفة في كشف الظنون ، والسخاوي في الإعلان بالتوبيخ ، وذكر الأول أنه في خمس مجلدات إلى سنة ٦٥٦ وهي سنة سقوط الدولة العباسية . وقد نقل منه مؤلف كتاب « تاريخ الجزيرة » المخطوطة — كانت — منه نسخة في دار الكتب ببرلين ، أرقامها « ٩٨٠ » عربيات .

٢٧ — الروض الناضر في أخبار الإمام الناصر ، قال عبد الرحمن الأربلي في ترجمة الناصر : « وله مناقب كثيرة وفضائل جمة قد ذكرها الشيخ العالم تاج الدين على بن أنجب المؤرخ المعروف بابن الساعي شيخنا — رحمة الله عليه — في كتاب يشتمل على خمس مجلدات سماه الروض الناضر في أخبار الإمام الناصر[٢] » . وذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب مراراً ونقل منه ، ومن ذلك ما ورد في « ج ٥ في الترجمة ٤٥ من الكاف منه» قال . «كافي الدين محمد بن شرفشاه العراقي المستوفي ذكره شيخنا. تاج الدين أبو طالب بن الساعي في كتابه (الروض الناضر في أخبار

(١) منتقى المعجم الكبير « نسخة الدار المذكورة ، الورقة ١٤١ » .

(٢) خلاصة الذهب المسبوك « ص ٢٠٨ » .

الإمام الناصر . .) وكرّر ذكره فى الترجمة ٣٤٨ «من الكاف» وفى غيرها . وأشار إليه السخاوى فى الإعلان « ص٩٦ » باسم سيرة الناصر .

٢٨ — الزهاد . وهو آخر كتاب ألفه ، كما ذكرنا نقلا من كتاب الحوادث فى أثناء كلامنا على سيرته .

٢٩ — سيرة المستعصم بالله ، ورد ذكرها فى منتخب المختار .

٣٠ — شرح الأخبار النبوية ، جاء ذكره فى المنتخب أيضاً .

٣١ — شرح الفصيح لثعلب ، ورد ذكره فى الكتاب المقدم ذكره .

٣٢ — شرح مقامات الحريرى ، مختصر فى مجلد ذكره مؤلف المنتخب وذكر له شرحين آخرين .

٣٣ — شرح المقامات ، وسط ، ورد ذكره فى التاريخ المشار إليه كما نبهنا عليه .

٣٤ — شرط المدرسة المستنصرية ، مجلد واحد،قال حاجى خليفة فى كشف الظنون : للشيخ تاج الدين[1] على بن أنجب البغدادى المتوفى سنة ٦٧٤ هـ .

٣٥ — طبقات الشافعيَّة ، ذكره ابن الفوطى مراراً فى تلخيص معجم الألقاب ، ونقل منه وذكره حاجى خليفة فى الكشف وذلك فى « الطبقات» وفى « التاريخ » باسم « طبقات الفقهاء » وقد قدمنا ذكر ذيله « الاقتفاء » للمؤلف نفسه .

٣٦ — غرر المحاضرة ودرر المكاثرة . فى التاريخ ، ذكره كاتب جلبى فى باب « الغين » و « التاريخ » .

٣٧ — غزل الظراف ومغازلة الأشراف ، وقد أشرنا إليه فى الكلام على سيرته

---

(١) وقع فى بعض نسخ كشف الظنون قول المؤلف « وقد سميته بمفاتيح الجنان ومصابيح الجنان » والظاهر أنه شرح لكتاب فى الفقه الحنفى اسمه « شرعة الإسلام » لأنه قد كرره فى « مفاتيح الجنان » .

ورد ذكره فى الجامع المختصر « ٩ : ٦٤ » وسماه حاجى خليفه « غزل الطرف » وقال « فى مجلدين لابن الساعى على بن أنجب ... » وذكره الذهبى فى معجمه والصفدى فى الوافى بالوفيات .

٣٨ — القلائد الدرية فى المدائح المستعصميّة ، وهو قصائد فى مدح الخليفة المستعصم بالله ، ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب ، قال فى ترجمة « مجد الدين أبى المعالى محمد بن أبى على سالم بن على بن مسافر الحديثى الشاعر » : « ذكره شيخنا تاج الدين فى كتاب القلائد الدريّة فى المدائح المستعصميّة ..»[1] .

٣٩ — لطائف المعانى فى شعراء زمانى ، ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب أيضاً غير مرة ، ونقل منه ، وذكره حاجى خليفة فى باب « الشين » باسم « شعراء الزمان » وفى باب « اللام » بالاسم الثانى ، وقال فى مادة التاريخ « وله تاريخ آخر لشعراء عصره » .

٤٠ — المحب والمحبوب ، ورد ذكره فى منتخب المختار فى سيرته .

٤١ — المدائح الوزيرية ، ذكره ابن الفوطى فى ترجمة « فخر الدين أبى على محمد بن عبد الرحمن بن أبى البقاء عبد الله العكبرى الكاتب » حفيد أستاذ المؤلف ، قال : « من فضلاء الزمان ، سمع جده أبا البقاء وتأدب ونظم الأشعار الرائقة . أنشد له شيخنا تاج الدين فى « المدائح الوزيرية » يهنئه بالوزارة . . .[2] » .

٤٢ — مراثى الجهة السعيدة زمرد خاتون والدة الخليفة الناصر لدين الله ، ذكره المؤلف فى كتابه الجامع المختصر « ٩ : ٢٧٩ » .

٤٣ — المشيخة وهى كتاب فيه مختصرات لِسِيَر من سمع المؤلف عليهم من

---

(١) ج ٥ فى الترجمة ٤٨١ من الميم .

(٢) تلخيص معجم الألقاب « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٣٣٠ » .

الشيوخ الرواة ومن أجازُوا له ، وقد ذكرها ابن العماد الحنبلي في شذرات الذهب ، قال فيه ترجمته . نقلاً من تاريخ الذهبي : « وقد أورد الكازرونيّ في ترجمة ابن الساعي أسماء التصانيف التي صنفها وهي كثيرة جدًّا لعلها وقر بعير منها مشيخته بالسماع والإجازة في عشر مجلدات[1] ، . . . » والقول عينه وارد في منتقى المعجم الكبير للذهبي ، وفي الوافي بالوفيات أنها في عشرين مجلداً . وكذلك عدد مجلداتها في كشف الظنون .

٤٤ — المعلم الأتابكيّ ، قدمنا الكلام عليه في سيرته ، وذكره ابن الفوطي في تلخيص معجم الألقاب قال في ترجمة الملك القاهر محمد (كذا) بن نور الدين أرسلان شاه بن مسعود بن مودود بن زنكي بن آقسنقر صاحب الموصل والجزيرة وسنجار : « ذكره شيخنا تاج الدين أبو طالب علي بن أنجب في كتابه (المعلم الأتابكي) الذي صنَّفه لصاحب شهر زور[2] » . وذكره حاجي خليفة في « المعلم » وفي التاريخ من كشف الظنون .

٤٥ — المقابر المشهورة والمشاهد المَزُورة ، مجلد واحد ذكره مؤلف كشف الظنون في مادته وفي « التاريخ » .

٤٦ — مناقب الخلفاء الأربعة ، وهم الراشدون الأولون ، ذكره حاجي خليفة أيضاً وقال : « ثلاث مجلدات » وذكره السخاوي في الإعلان باسم مناقب الخلفاء « ص ٩٦ » .

٤٧ — مناقب الخلفاء العباسيين ، جاء ذكره في منتخب المختار مع تآليف ابن الساعي .

٤٨ — المناقب العلية لمدرسي المدرسة النظاميّة ، ورد ذكره في المنتخب أيضاً .

---

(١) شذرات الذهب « ٥ : ٣٤٣ — ٤ » . « والمفرد مجلدة » .

(٢) النسخة المقدم ذكرها « الورقة ٣٩٠ » .

٤٩ — منهاج الطالبين فى معرفة نقباء العباسيين، ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب . قال فى ترجمة مجد الدين أبى الحسن على بن الأتقى أبى أحمد طلحة ابن عبد الله الزينبى العباسىّ : ذكره شيخنا فى كتاب منهاج الطالبين فى معرفة نقباء العباسيين[١] » .

٥٠ — نزهة الأبصار فى أخبار ابنى المستعصم بالله العباسى : قدمنا ذكره فى أثناء سيرته . قال الذهبى: «هو فى أخبار ابنى المستعصم السعيد وما أنفق عليهما من الأموال وتفاصيل ما عمل من المأكول والملبوس وما عمل من المدائح ، وذكره الصلاح الصفَدى فى الوافى بالوفيات[٢]، وابن تغرى بردى فى (المنهل الصافى والمستوفى بعد الوافى)[٣] » .

٥١ — نزهة الأبصار فى معرفة نقباء الأسرة الأطهار ، وهم نقباء الطالبيين من بنى على بن أبى طالب — ٤ — ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب قال فى ترجمة مجد الدين على بن الحسين بن باقى الحلى القاضى : ذكره شيخنا تاج الدين فى كتابه نزهة الأبصار فى معرفة النقباء الأطهار » وكرر ذكره ونقل منه فى غير هذا الموضع[٤] . وذكره هو فى كتابه الجامع المختصر « ٩ : ٧٩ » وأشار إليه حاجى خليفة فى كشف الظنون .

٥٢ — نزهة الراغب المعتبر فى سيرة الملك قُشْتِمر ، ذكره هو فى الجامع المختصر « ٩ : ٤٣ » ، وهو فى سيرة الأمير قشتمر من مماليك الخليفة الناصر لدين الله .

---

(١) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ فى الترجمة ٣٧٥ » .
(٢) نسخة المجمع العلمى العربى المصورة « ٨٨ : ١٢ » .
(٣) نسخة دار الكتب الوطنية بباريس « ٢٠٧١ الورقة ١١٨ » .
(٤) تلخيص معجم الألقاب « ج ٥ فى الترجمة ٣٧٠ من الميم ، وفى الترجمتين « ٥١٥ و ٦٧٧ » منه .

٥٣ — نظم منثور الكلام فى ذكر الخلفاء الكرام ، ذكره حاجى خليفة فى مادة « تاريخ » من الكشف .

٥٤ — نهاية الفوائد الأدبية فى شرح المقامات الحريرية . فى خمسة وعشرين مجلداً ، جاء ذكره فى منتخب المختار .

٥٥ — الوزراء أو أخبار الوزراء ، ذكره حاجى خليفة فى « أخبار الوزراء » و « كتاب الوزراء » من كشف الظنون .

٥٦ — ولاة خوزستان ، ذكره ابن الفوطى فى تلخيص معجم الألقاب ، قال فى ترجمة ، مجاهد الدين ياقوت بن عبد الله الرومى » : ذكره شيخنا تاج الدين فى كتاب ولاة خوزستان وقال . . .[1] » .

(١) المرجع المذكور « ج ٥ فى الترجمة ١٤٨ من الميم » .

حقيقة الكتاب

يعود الفضل في تعريفي وإعلامي بهذا الكتاب إلى الأستاذ العلامة « لويس ماسنيون » المستشرق المشهور، فقد ذكر لي في كتاب كتبه إليّ في التاريخ ٤ / ٩ / ١٩٤٩ أن الأستاذ مكرمين خليل مدرس التاريخ بجامعة استانبول وَقَفَه على كتاب مخطوط اسمه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » تأليف كمال الدين عبد الرزاق بن أحمد المعروف بابن الفُوَطيّ المؤرخ، وهو محفوظ في خزانة كتب « ولي الدين » الموقوفة في استانبول، في مجموعة أرقامها « ٢٦٢٤ » .

ولم أدر كيف تهيأ للأستاذ مكرمين خليل أن ينسب هذا الكتاب إلى ابن الفُوَطيّ المذكور ؟ ولا دليل على ذلك فيه ولا خارجَه، فحاجي خليفة لم يذكر أنّ لابن الفوطيّ كتاباً اسمه « جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء » بل ذكره باسم « تاريخ نساء الخلفاء » لابن الساعي قال : « تاريخ نسَاء الخلفاء من الحرائر والإماء لتاج الدين علي بن أنجب البغدادي المتوفى سنة أربع وسبعين وستمائة[1] » . ثم كرّر ذكره باسم « نساء الخلفاء » في النون قال : « نساء الخلفاء من الحرائر والإماء، تاريخ لعلي بن أنجب البغدادي المؤرخ المتوفى سنة أربع وسبعين وستمائة[2] » . ومعلوم أنه أراد بنساء الخلفاء « جهات الخلفاء » جمع الجهة وهي السيّدة المحترمة المتزوجة، كما سيأتي بيانه في التعليق على هذه الكلمة في أول الكتاب، هذا هو الدليل الأول على أن هذا الكتاب هو تأليف ابن الساعي علي ابن أنجب البغدادي . والدليل الثاني هو أن المؤلف ذكر في مقدمة كتابه هذا أو خطبته أنّ له كتاباً اسمه « أخْبار مَن أدركت خلافة ولدها » وقد ذكرناه في

---

(١) كشف الظنون « في العمود ٣٠٨ » من طبعة وكالة المعارف التركية .

(٢) المرجع المذكور « في العمود ١٩٥٠ » .

ثبت كُتُبه باسم « تاريخ مَن أدركت خلافة ولدها » وهو لابن الساعى حقًا ، ذكر ذلك عبد الرحمن الأربلى فى تاريخه ولم يصرّح باسم مؤلفه[1]، إلا أننا نعلم أنه ينقل من كتب شيخه ابن الساعى كما قدمنا الإشارة إليه ، وذكره ابن تغرى بردى فى بعض تواريخه . كما نقلناه آنفاً ، إلا أنه لم يصرّح باسمه بل ذكر منه اسم « سَمَر » وهى أم أولاد المستعصم بالله «أحمد وعبدالرحمن والمبارك». وإن لم يُذكر السيدة سمر فى هذا الكتاب أعنى كتاب « جهات الأئمة الخلفاء » فهى قد ذكرت فى « أخبار من أدركت خلافة ولدها» أو أدركت ولايته للعهد[2]. والدليل الثالث هو أنّ الشيوخ الذين روى مؤلف « جهات الأئمة الخلفاء » عنهم الأخبار هُم بين شيخ معروف من شيوخ ابن الساعى كمحب الدين محمد بن محمود المعروف بابن النجار البغدادى الذى ذكرنا أن ابن الساعى قرأ عليه تاريخ بغداد من تأليفه ، وشيخٍ لا يصلح أن يكون راوياً لابن الفوطى لوفاته قبل ميلاد ابن الفوطىّ ، فقد روى المؤلف عن ابن النجار فى ترجمة « ناشب المتوكلية » قال : « قرأت على الحافظ أبى عبد الله البغدادى قال أخبرنى عيسى بن عبد العزيز اللخمى ... » . وأبو عبد الله البغدادى هو محب الدين محمد بن محمود بن النجار . وروى عنه أيضاً فى ترجمة « دولة جارية ابن المعتز » قال : « أخبرنى الحافظ أبو عبد الله البغدادى عن أبى القاسم الأزجى . . . » وأبو القاسم الأزجى هو يحيى بن أسعد بن بَوْش ، توفى سنة ٥٩٣ كما سيأتى فى حواشى الكتاب ، وحَدَّث عنه فى سيرة « قبيحة جارية العباس بن الحسن » قال : « قرأت على الحافظ أبى عبد الله البغدادى عن ذاكر بن كامل الحذّاء . . . » وصَرَّح باسمه الكامل فى ترجمة « ست النساء بنت طولون » قال : « قرأت على العدل محمد بن محمود بن الحسن الشافعى قلت له : قرأت على أبى عبد الله الحنبلى

---

(١) خلاصة الذهب المسبوك « ١٩٧ » .

(٢) كان ابنها أبو العباس أحمد ولى عهد الخلافة العباسية ،وقد قتله هولاكو المغولى مع أبيه وأخيه عبد الرحمن عند احتلاله بغداد .

بأصبهان . . . » . وكانت وفاة ابن النجار فى خامس شعبان سنة ٦٤٣ ﻫ[١] وكان ميلاد ابن الفوطىّ فى سابع عشر المحرم سنة ٦٤٢ ﻫ[٢] أى قبل وفاة ابن النجار بسبعة أشهر تقريباً .

وروى المؤلف عن عبد الوهاب بن على الأمين المحدث الصوفى المعروف بابن سُكَيْنَة، وقد كانت وفاته سنة ٦٠٧ كما سيأتى فى التعليق على اسمه . وقد ذكر الذهبى أن ابن النجار ترجمه فى كتابه[٣] . وترجمتُه مذكورة فى تاريخ ابن النجار كما قال الذهبى ، قال ابن النجار : « عبد الوهاب بن على بن على بن عبيد الله أبو أحمد بن أبى منصور الأمين المعروف بابن سُكينَة[٤] » . ومؤلف هذا الكتاب يقول فى أول كتابه فى ترجمة « حَمّادة بنت عيسى » : « أخبرنى عبد الوهاب بن على الأمين إجازة قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشيبانى . . . » . ثم قال فى ترجمة « عَرِيب المأمونيّة » : « أنبأنى أبو أحمد الأمين عن ابن ناصر . . . » وأبو أحمد الأمين هو عبد الوهاب ابن سُكَيْنَة كما قدمنا فى نقل نسبه آنفاً، ومما ذكرنا يُعلم أنّ عبد الوهاب بن سكينة توفى قبل مولد ابن الفوطىّ بخمس وثلاثين سنة ، فلا يصح أن يكون ابن الفوطى راوياً عنه بلا واسطة فى كل حال مِنْ أحوال الرواية: سماعاً و إجازة ومناولة . وروى مؤلف هذا الكتاب عن « عبد الرحمن بن سعد الله الواسطى الدقيقى الطحّان » فى ترجمة « عَريب المأمونية » وترجمة « بَنان جارية المتوكل » وترجمة « محبوبة جارية المتوكل » وسيرة « نَبْت جارية المعتمد على الله » . ففى الموضع الأول قال : « وأنبأنى عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقى عن أبى القاسم بن السمرقندى . . . » وفى الثانى : « أنبأنى عبد الرحمن الطحّان عن

---

(١) طبقات الشافعية الكبرى للسبكى « ٥ : ٤١ » .

(٢) ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ٢ : ٣٧٤ طبعة مصر » .

(٣) تاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٦٠ » .

(٤) التاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٤ » .

أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وفي الثالث : « أخبرني عبد الرحمن بن سعد الله الواسطيّ إذناً عن أبي القاسم بن السمرقندي . . » . وفي الرابع : « وأنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقي عن أبي القاسم بن السمرقندي . . . » . وسيأتي في التعليق على اسمه أنه توفي سنة ٦١٥ هـ[1] أي قبل مولد ابن الفوطي بسبع وعشرين سنة .

وروى المؤلف عن علي بن عبد الرحمن بن الجوزي وهو ابن أبي الفرج بن الجوزي العلامة الفقيه المفسّر الواعظ المؤلف المشهور وذلك في ترجمة « بُوران بنت الحسن بن سهل » وفي سيرة « قطر الندىٰ بنت خمارويه » . قال في الموضع الأول : « أخبرني أبو القاسم علي بن عبد الرحمن بن علي إذناً عن [أبي] محمد< بن[2] > عبد الله بن الخشاب النحويّ . . . » وفي الموضع الثاني : « أنبأني أبو القاسم علي بن عبد الرحمن ابن علي عن أحمد بن المقرّب ... » . وسيأتي في التعليق على ترجمة علي بن الجوزيّ هذا أنه توفي في سلخ شهر رمضان سنة ٦٣٠[3] أي قبل مولد ابن الفوطي باثنتي عشرة سنة .

وروى المؤلف عن أبي محمد عبد العزيز بن محمود المبارك الُجنابذيّ المعروف بابن الأَخضر في ترجمة « قُرّة العين جارية المعتصم بالله » قال : « أنبأني أبو محمد الجنابذي عن أبي بكر الحنبلي . . . » . وأبو محمد الجنابذيّ هو عبد العزيز بن محمود بن الأخضر ، المقدم ذكره ، قال ياقوت الحموي : « جُنابِذ . . . ناحية من نواحي نَيْسابور وأكثر الناس يقولون إنّها من نواحي قهستان من أعمال نيسابور

(١) تاريخ بغداد لابن الدبيثي « نسخة دار كتب كبريج ٢٩٢٤ الورقة ٣٥ » تاريخ الإسلام للذهبي « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ٢١٧ » .

(٢) علامة للمزيد في نص الكتاب غلطاً ، والتي قبلها للناقص من الكتاب سهواً .

(٣) التكلة لوفيات النقلة : لزكي الدين المنذري « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية « ١٩٧٢ د ج ٢ الورقة ١٣٤ » . ومرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٦٧٨ طبعة حيدر أباد » . وشذرات الذهب ٥ : ١٣٧ » . .

وهى كورة يقال لها كتابذ، وقيل هى قرية ينسب إليها خلق من أهل العلم . . . وشيخنا عبد العزيز بن المبارك[١] بن محمود الجُنَابِذِى الأصل ، البغدادى المولد والدار ، يكنى أبا محمد بن أبى نصر بن أبى القاسم ويعرف بابن الأخضر ، يسكن درب القيَّار من محال نهر المعلّى شرقىّ بغداد . . .[٢] » .

وروى المؤلف عن محمد بن عبد الواحد الهاشمىّ فى ترجمة « قَبيحة مولاة العباس ابن الحسن » المقدم ذكرها آنفاً ، قال : « أنبأنى محمد بن عبد الواحد الهاشمى عن محمد بن عبد الله قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار إذناً . . . » . وسيأتى فى التعليق على ترجمته أنه توفى سنة « ٦٤٠[٣] هـ » أى قبل ميلاد ابن الفوطى بسنتين .

والدليل الرابع هو ما ورد فى سيرة « شاهان جارية المستنصر بالله » وهو قول المؤلف : « ولما تُوفى مولاها الإمام المستنصر بالله . . . وبويع ولده سيدنا ومولانا الإمام المستعْصم بالله أمير المؤمنين — أيد الله شريف دولته القاهرة ، وبلغه آماله فى الدنيا والآخرة — أجراها على عادتها . . . » . فهذا كلام مؤرخ يمدح المستعصم بالله فى حياته ، وألَّفَ تاريخَه على عهده ، وهو أمر يوافق حال ابن الساعى لا حال ابن الفوطىّ ، والمستعصم ولى الخلافة سنة «٦٤٠» وقُتل سنة «٦٥٦» وأَسَر المغولُ ابن الفوطى سنة وفاة المستعصم ، وعمره يومئذ أربع عشرة سنة ، فهو لم يؤلِّفْ شيئاً قبل أَسْرِهِ ولا عُرفت له فى ذلك الوقت كتابة أدبيَّة تاريخية كائناً ما كان نوعُها ، بَلْه أن الذى عمرُهُ أربع عشرة سنة عاجز بالبداهة عن التأليف والتصْنيف والإسناد إلى الشيوخ الكبار كما هو ظاهر فى هذا الكتاب ، فهذا الكتاب من تصانيف

---

(١) الصواب « ابن محمود بن المبارك » راجع الكامل فى حوادث سنة « ٦١١ » وذيل الروضتين « ص ٨٨ » وذيل طبقات ابن رجب « ٢ : ٧٩ » والشذرات « ٥ : ٤٦ » وغيرها ، وجاء فى تذكرة الحفاظ للذهبى « ٤ : ١٧٠ » عبد العزيز بن مسعود وهو خطأ ، ولم يصحح هذا الخطأ مصلحو معجم البلدان ، طبعة دار صادر ببيروت .

(٢) معجم البلدان فى « جنابذ » .

(٣) التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية « ٢ : ٢٩٧ » .

تاج الدين على بن أنجب المعروف بابن الساعى ولا صلة له بابن الفوطىّ ، والغريب أن اسم المؤلف لم يكتب على الكتاب بل جاء في أول ورقة منه « كتاب جهات الأيمة [1] الخلفاء من الحرائر والإماء » . وكأنه كان من الشهرة والشيوع والذيوع بحيث لم يحتج إلى ذكر مؤلفه . وهذا خطأ مُبين فى نسخ المؤلفات والمصنفات ، لأن العصور مختلفة، والمعارف متغيرة متبدلة ، فالكتاب المشهور فى عصر قد يخمل ذكره فى عصر آخر ، والمؤلف المعروف فى زمَن من الأزمان قد تذهب شهرته فى عصر آخر، أو يذهب كثير منها ، فابن النجار المؤرخ البغدادى ، كان عمدة المؤرخين فى أزمان طويلة ، ولا يعرفه اليوم إلا من تبحَّر فى التواريخ [2] .

---

(١) يجوز قلب الهمزة ياء للتخفيف .

(٢) ومن المجهولين اليوم من المؤرخين على بن محمد الكازروني ، ومحمد بن أحمد القادسى ، وعز الدين الحسن بن أحمد بن زفر الأربلى صاحب المجاميع التاريخية فى سير الشعراء والأدباء والأعيان ، وراوى قصة صفى الدين عبد المؤمن بن يوسف الأرموى مع هولاكو «راجع ثمرات الأوراق لابن حجة ج ٢ ص ٣٤».

مصدر النُّسخة وصِفَتُها

ذكرنا فضل الأستاذ العلامة ماسنيون فى تنبيهنا على وجود هذه النسخة فى مجموعة من مجاميع خزانة كتب ولى الدين باستانبول ، وبعد علمنا بذلك تاقت النفس إلى الاطلاع على مضمون الكتاب ، ولم نجد فرصة لتصويره بالمايكروفيلم إلا سنة ١٩٥٢ ففيها أقيم مهرجان ألفيّ لمولد ابن سينا الحكيم الفَيلسوف ببغداد ، ودُعى إليه أعيان العُلماء والمحققين من شرقيين ومستشرقين ، وكان فى الوفد العلمى التركى الأستاذ الأديب اللغوى الأريب « أحمد آتش » مدرس الأدب العربى والأدب الفارسى فى جامعة استانبول ، فرغبت إليه أن يصوِّر لى هذه النسخة بالمايكروفيلم ، فأجابنى إلى ذلك — حفظه الله — بغير تلكُّؤ ولا اعتذار ، وما كاد يعود إلى استانبول حتى صَوَّرها بفيلم، ومقدار أوراقها «خمسُون ورقة» فى شريط تصويرىّ واحد ، كما هو مألوف ، وسلَّم — أيده الله — التصوير إلى قنصل العراق باستانبول فبعَث به إلىّ متلطفاً ، وقد كتبت كتاباً إلى الأستاذ الأريب «أحمد آتش» أستعلم مقدار النفقة على تصوير الفيلم فلم يَرِدْ علىَّ منه جواب ، ولعله سكت عن الإجابة استقلالاً للمبلغ – أحسن الله جزاءه عن العلم والأدب وأهليهما — .

ولما حصل فيلم النسخة فى يدى طلبت إلى إدارة مجمعنا العلمى العراقى أن تصوِّره بنفقتى على ورق « الفوتوستات » ليكون صالحاً للقراءة والنشر ، وفى المجمع جهاز آلى تصويرىّ يعالج هذا وأمثاله ، فصُوّرت النسخة فيه وكانت النفقة على التصوير بل أجرته خمسة دنانير ، لخمسين ورقة ، وهى مجموع ورق الكتاب ، وبقيت النسخة المصوَّرة فى خزانة كتبى حتى هيَّأ الله تعالى لها هذه الفرصة ، فنسختها وصححت ما فيها من خطأ النسخ وعلّقت عليها تعاليق تختلف قصراً وطولاً ، على حسب

الحاجة ، وأرجو أن لا تخلو من فائدة ، يقطفها القارئ في أثناء قراءته الكتاب ، والباحث عند استمداده منه ، ولا أبرّئ نفسي من تقصير ولا من ذهول . فإن نشر كتاب مخطوط أوّل مرة لا يبلغ الكمال في كل الأحوال .

وخط النسخة نسخيّ واضح ، إلى الجمال ما هو ، وتاريخه هو « يوم الثلاثاء رابع شهر رجب الفرد سنة تسمائة » كما جاء في آخر الكتاب ، وقد جاء في الورقة الخمسين ما هذا نصه « نبذة يسيرة من نكت الظرفاء : قيل جاء رجل إلى سليمان ابن داود عليه السلام . . . » .

هذا وينبغي لنا أن ننبّه على أن الناسخ لم يكن من الأدباء المحققين لأنه نقل في عدة مواضع ما لم يفهمه من الكتاب ، ونسخ ما هو غير واضح ، لوقوع الخطأ في نسخه ، وهو يترك بعض النقط أحياناً فيكتب ثقتى « ثمتى » ، والهمز أحياناً مثل « الخلفا » أي الخلفاء ، ومجى بمعنى « المجيء » ، ويقلب الهمزة أحياناً مثل « الحراير » للحرائر ، ويهمل نقط الياء تارات ففيه مثل « يتزوج جاريتى بعد أن يلى الخلافة » ويجمع آونة بين العوض والمعوض عنه مثل « لبكاييه » ، ويترك نقط التاء أحياناً مثل « بدعه » لبدعة ، و « متوقفه » لمتوقفة .

وقد حدث خلل في النسخة وهو أن قسماً من أخبار « عنان جارية الناطفى » أدغم في أخبار « بِدْعة الكبيرة » فأستوجب ذلك تنبيهنا وإصلاح الخلل ، ولم ينبه على ذلك أحد قبلنا .

وأختم هذا التصدير بأن أذكر أن المؤلف لم يلتزم شرط كتابه بتضمينه إياه نساء الخلفاء من الحرائر والنساء حَسْبُ ، فقد أضاف إليه من نساء السلاطين كخاتون السفرية حَظِيَّة السلطان ملكشاه ، وزبيدة زوجة السلطان مسعود بن محمد بن ملكشاه ، ومن نساء الأمراء كسريرة الرائقية ، وست النساء الطولونية ، وقبيحة مولاة الوزير العباس بن الحسن وزير المقتدر بالله ، وبالله ثقتى وعليه اعتمادى وتوكلى وهو الموفق للصواب .

مصطفى جواد

نساء الخلفاء

المسمى

جهات الأئمة الخلفاء من الحرائر والإماء

بسم الله الرحمن الرحيم

وَبِهِ ثِقَتِي

(١ ظ)

أما بعدَ حمد الله ربّ العالمين ، والصلاةِ على سيدنا محمد وآله أجمعين ، فإني لما جَمَعْتُ كتاب « أخبار مَنْ أدركَتْ خِلافَةَ وَلَدِها » من جِهاتِ[1] الخلفاء ، ذوات المعروف والعطاء ، أحببتُ أن أذكرَ مَن اشتهرَ ذِكْرُها من حظايا الخلفاء ، الحرائر والإماء ، وبالله التوفيق .

١ — حَمَّادَةُ[2] بنتُ عِيسى[3]

زوجة الإمام أبي جعفر عبد الله المنصور . أخبرني عبد الوهاب بن علي

(١) جهات جمع جهة ، وهي كناية عن زوجة الخليفة أو حَظيَّته ، وعن زوجة السلطان أو حَظيَّته ، استعملت كذلك في العصر السلجوقي وما بعده ، وأريد بها أحيانًا « السيدة » المتزوجة مطلقًا « الكامل ج ١٠ ص ٧ طبعة أحمد الحلبي سنة ١٣٠٣ » و « المنتظم ج ٨ ص ١٧٠ ، ص ٢١٩ ، ٢٢٠ وغيرها » . و«مختصر مرآة الزمان ج ٨ ص ٣٤٥ طبعة حيدر آباد الدكن» و«مختصر مناقب بغداد ص ٢٠ بمطبعة دار السلام ببغداد » و « كتاب الأموال لأبي عبيد ، ص٦١٥ طبعة عبد اللطيف الحجازي بالقاهرة » و«مختصر صبح الأعشى ص ٣٨٦ » . وسيرد استعمال المؤلف « الجهة » بمعنى السيدة في هذا الكتاب غير مرة .

(٢) ورد ذكرها في الأغاني « ج ١٠ ص ٢٦٢ طبعة دار الكتب المصرية » . و « ج ٩ ص ١٢٨ طبعة محمد ساسي بمصر » .

(٣) هو عيسى بن علي بن عبد الله بن العباس بن عبد المطلب عمّ السفاح والمنصور وإليه نسب قصر عيسى وقطيعة عيسى بالجانب الغربي من بغداد . ولد سنة ٨٣ وتوفي ببغداد سنة ١٦٤ « تاريخ بغداد للخطيب البغدادي ج ١ ص ٩٢ ، وج ١١ ص ١٤٧ » ومعجم البلدان لياقوت الحموي في « قصر » و « قطيعة » .

الأَمِين[١] إجازةً ، قال أخبرنا عبد الرحمن بن محمد الشَّيْبانىّ ، أخبرنا أحمد بن على الحافظ أخبرنا الحسن بن أبى بكر أخبرنا أبو سهل أحمد بن محمد ابن عبد الله بن زياد القَطَّان سمعت أبا العباس أحمد بن يحيى ثعلباً يقول : (٢ و)

« لما ماتت حَمَّادَة بنت عيسى زوجة المنصور وقف المنصورُ والناسُ معه على حُفْرتها ينتظرون مجىء الْجنازة وأبو دُلامَةَ فيهم ، فأقبل عليه المنصور فقال : يا أبا دُلامَة ما أعددتَ لهذا المَصْرَع ؟ قال : حَمَّادَةَ بنتَ عيسى يا أمير المؤمنين[٢] . قال فضحِك القوم » .

---

(١) الأمين ويجمع فى التكسير على الأمناء ، هو الرجل الذى يستحفظه القاضى أموال الأيتام والغائبين « معيد النعم ومُبيد النقم ص ٦٢ طبع دار الكتاب العربى » . وأبو أحمد الأمين هو شيخ الشيوخ ضياء الدين عبد الوهاب بن على ابن على بن عبيد الله البغدادى الشافعى المحدث الزاهد الفقيه الورع المقرئ البارع ، ولد ببغداد سنة ٥١٩ هـ وتوفى بها سنة ٦٠٧ هـ ، وترجمته مفصلة فى ذيل تاريخ بغداد لابن الدبيثى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٥ » ، والتاريخ المجدد لمدينة السلام « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٤ » ، والتكملة لوفيات النقلة ، لزكى الدين عبد العظيم المنذرى المصرى « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ١٩٨ د ج١ الورقة ٢٧ » ، والكامل فى وفيات سنة ٦٠٧ ، وذيل الروضتين لأبى شامة المقدسى « ص ٧٠ » ، وتاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٦٠ » والوافى بالوفيات للصفدى « نسخة بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٩٠ » . وطبقات الشافعية لابن قاضى شهبة « نسخة باريس ٢١٠٢ الورقة ٥٧ » ، والنجوم الزاهرة « ج ٦ ص ٢٠١ ، ٢٠٢ » ، والشذرات « ٥ : ٢٥ » وغيرها .

(٢) فى الأغانى « ١٠ — ٢٦٢ » أنّ أبا دلامة أجابه قائلا : « بنت عمك يا أمير المؤمنين حمادة بنت عيسى ، يجاء بها الساعةَ فتدفن فيها » وتمام الخبر فيه هو : « فضحك المنصور حتى غُلب فستر وجهه » . وأبو دلامة زند بن الجون له ترجمة فى الأغانى « ج ١٠ ص ٢٣٥ » ووفيات الأعيان وغيرهما .

٢ — غادِرُ(١) جارية الإمام الهادى

قال جَعْفَر(٢) بن قُدامة : « كانت من أحسَن الناس وجهًا وغِناءً، وكان يُحِبُّها حبًّا شديداً ، فبينا هى تُغَنِّيه يوماً عَرَض له فِكْر وسَهو ، فسأله مَن حَضَر مِن خواصِّه فقال : قد وقع فى فِكرى أنى أموت وأنَّ أخى هارون يتزوَّج جاريتى بعد أنْ يلِىَ الخلافة . فقيل له نُعيذُك بالله ، (٢ظ) ويُقدَّمُ الكُلُّ قبلَك . فأمر بإحضار أخيه وعَرَّفه ما خَطَر لَه ، فأجابَه بما يُحِبُّ من ذلك . فقال : لا أَرضى حتى تَحْلِفَ أنى مَتَى مُتُّ لا تتزوَّجُها . فحَلَفَ واستوفى عليهِ الأيْمان : من الحجِّ راجلًا وطَلاق الزوجات وعِتْقِ المماليك وتَسْبيل(٣) ما يملِكُهُ ، ثم أَحْلَفَها بِمِثْلِ ذلك فحَلَفَتْ . فلم يَمضِ على ذلك إلا شَهْرٌ ، ومات الهادى وبُويع الرشيد ،

(١) الأغانى « ج ١٩ ص ١٢٢ طبعة محمد ساسى » .

(٢) قال أبو بكر الخطيب البغدادى : « أحد مشايخ الكتاب وعلمائهم ، وافر الأدب ، حسن المعرفة ، وله مصنفات فى صنعة الكتابة وغيرها » . « تاريخ بغداد ج ٧ ص ٢٠٧» وكانت وفاته سنة ٣١٩ و «معجم الأدباء ج ٢ ص ٤١٢ « طبعة مرغوليوث » . وذكره ابن النديم فى الفهرست فى ترجمة ولده « قدامة » قال : « كان أبوه جعفر ممن لا يفكر فيه ، ولا علم عنده » . « ص ١٨٨ من الطبعة المصرية » ، قال هذا مع أن أبا الفرج الأصبهانى يروى عنه « الأغانى ١ : ٨٣ ، ٢ : ٤٦ ، ٣ : ٢٨٠ » طبعة دار الكتب ، وهو فيه « جعفر بن قدامة بن زياد الكاتب » . والذى فى فهرست ابن النديم « قدامة بن جعفر بن قدامة » فهل قدامة ابن جعفر اثنان ؟ هذا هو الظاهر .

(٣) يقال « سَبَّل الشىء تسبيلاً » أي جعله فى سبيل الله ووقفه على وجوه البرّ والإحسان » . « القاموس » .

فبعث إلى غَادِر وخَطَبَها ، فقالت : كيف نصنعُ بالأَيْمان ؟ فقال : أُكَفِّرُ عن الكُلِّ وأَحُجُّ راجلا . فأَجابَتْ ، وتزوجها وزاد شغفاً بها حتّى إنَّهُ صار يضَعُ رأسها فى حِجْرِه ، فتنامُ فلا يتحرَّكُ حَتّى تَنْتَبِهَ .
(٣ و) فَبَيْنا هى نائمةٌ ذاتَ يوم أنتبهَتْ فَزِعَةً تبكى ، فسألها عن حالها ، فقالت : رأيتُ أخاكَ الساعةَ فى النوم وهو يقول :

أَخْلَفْتِ وَعْدِى بَعْدَما جاوَرْتُ سُكانَ المقابِرْ
وحَلَفْتِ لى[1] . . . . أَعانَكِ الكُذُبَ الفَواجِرْ
ونَكَحْتِ غادِرَةٌ أَخى صَدَقَ الذى سَمَّاكِ غادِرْ
أَمْسَيْتُ فى أَهل البِلَىٰ وغَدَوْتِ فى الحُورِ العَوائِرْ[2]
لا يَهْنِكِ الإِلْفُ الجديـــدُ ولا تَدُرْ عنكِ الدوائِرْ
والحَقِى بى قبلَ الصَّبا حِ وَصِرْتِ حيثُ غدوتُ صائِرْ

واللهِ يا أميرَ المؤمنين وكأنّى أسمَعُها وكأنّما كتبَها فى قلبى فما نَسِيتُ
(٣ ظ) منها كلمةً . فقال لها الرشيد : أضغاثُ أحلام . فقالت : كلاَّ . ثم لم تزَلْ تضطربُ وتُرْعَدُ ، حتى ماتت بين يديه ، وذلك فى سنة ثلاث وسبعين ومائة .

(١) نقصان فى نسخة الأصل .
(٢) هكذا وردت الكلمة فى الأصل ، والعوائر جمع العائرة من عارت تعيرُ أى ذهبت وجاءت فهى حرّة الحركات أو هى « الغوائر » جمع الغائرة .

٣ — عِنانُ(١) بنت عبد الله جارية النَّاطِفِيّ

كانت شاعرة ظريفة ، ولها أخبـار مدوَّنة ، ذكرها أبو الفرج الأصفهاني في كتاب الأغاني فقال : « كانت عِنانُ جاريةَ النَّطّاف(٢) صَفراءَ مُولَّدةَ مِن مُوَلَّدات اليَمامَة وبهـا نشأَتْ وأُدِّبَتْ ، واشتراها النطّـاف ، وهَمَّ الرشيد بابتياعِها منه فمنعه منها اشتهارُها وما هجاها به الشعراء مع حبِّه لهـا وميله إليها ، وإيثاره إياها . وقيل إنَّهُ أَحضرها ليبتاعَها من سيدها فطلب ثَمَنَها مائة ألف درهم ، فأحضرها الرشيد عنده ثم رَدَّها ، فتصدَّق سيدها بثلاثين ألف درهم . فلما مات مولاها (٤ و)
بِيعَت بمائتي ألف درهم . وكانت أوَّلَ مَن اشتهر بقول الشعر في الدولة العباسيّة وأَفْضَلَ مَنْ عُرِفَ مِن طبقتها . ولم يزل فحول الشعراء في

---

(١) الأغاني « ج ١٠ ص ٩٦ و ج ٢٠ ص ٧٦ طبعة محمد ساسي » ، والمحاسن والأضداد المنسوب غلطًا إلى الجاحظ « ص ١٤٨ طبعة مطبعة المعاهد بمصر »، والوزراء والكتاب للجهشياري « ص ١٥٩ طبعة عبد الحميد حنفي بمصر ، وفهرست ديوان أبي نواس ، و بدائع البدائه « ص ٤٨ » ، وطبقات الشعراء المحدثين لابن المعتز « ص ٤٢١ » . والعقد الفريد « ٦ : ٥٧ » وديوان العباس بن الأحنف « ص ١٠٧ » ، وكتاب الورقة لابن الجراح « ص ٣٩ وغيرها » والجزء الثالث والعشرون من الأغاني من نسخة خزانة فيض الله بالآستانة المصورة بدار الكتب المصرية برقم ١٩٠١٨ ز .

(٢) النَطّاف والناطفي : بائع الناطف وهو نوع من الحلوى اسمه « القُبيَّطْ » أيضًا ، ولا يزال معروفًا بهذا الاسم — أعني الناطف — في ماردين وما حولها ، وهذه الحلوى إذا باتت فقدت لذتها ونفاستها .

عصرها يَلْقَوْنَها فى منزل مولاها ، فَيُقارِضُونها الشعر وتنتصِفُ منهم . وأُعتِقَتْ بعد وفاةِ مولاها إمّا بِعِتْقٍ كان منه لها أو أنها ولدَتْ منه[1] .

وروى الأصفهانى بإسناده إلى مروان[2] بن أبى حَفْصَة قال : « لَقِيَنِى الناطِقِىّ فدعانى إلى عِنان . قال : فانطلقتُ معه فدخل إليها قَبلى ، فقال لها : قد جئتك بأشعر الناس مروان بن أبى حفصة . وكانت عَليلة ، فقالت :

(٤ ظ) إنِّى عن مروان لَفِى شغل . فأهوى إليها بِسَوْطِهِ فضَرَبَها به ، وقال لى : اُدْخُلْ . فدخلتُ وهى تبكى ، فرأيتُ الدموعَ تَتَحَدَّرُ من عينيها فقلت :

بَكَتْ عِنَانٌ مُسْبِلا دَمْعُها   كالدُّرِّ إذْ يَسْبِقُ مِنْ خَيْطِهِ[3]

فقالت مُسرعةً :

فَلَيْتَ مَنْ يَضْرِبُها ظالِماً   تَيْبَسُ يُمْناهُ على سَوْطِهِ

فقلتُ للنّطاف : أَعْتَقَ مروانُ ما يَمْلِكُ إن كان فى الإِنس والجِنِّ أَشعرُ منها .

---

(١) لا يتفق هذا القول وما نقله آنفًا من أنها بيعت بعد وفاة مولاها .

(٢) هو أبو السمط وقيل أبو الهيذام مروان بن سليمان بن يحيى بن أبى حفصة من مشاهير الشعراء فى صدر الدولة العباسية ، عاصر الخليفة أبا جعفر المنصور ، والمهدى بن المنصور وابنه موسى الهادى والرشيد ، وتوفى ببغداد سنة « ١٨١ » أو سنة « ١٨٢ » . « الأغانى ج١٠ ص ٧١ ومواضع أخرى من الأغانى » ، ووفيات الأعيان لابن خلكان « ج ٢ ص ٢٠٦ طبعة بلاد العجم » ، والشعر والشعراء « ص ٢٩٥ ، طبعة مصطفى محمد بمصر » ، ومعجم الشعراء للمرزبانى « ص ٣٦٥ ، ٣٩٦ » وشعره مستفيض فى كتب الأدب والتاريخ لمعالجته الشعر السياسى .

(٣) فى المحاسن والأضداد :

إن عنانًا أرسلَتْ دمعَها   كالدُرّ إذ ينسلُّ من سِمْطه

وحَدَّثَ عن الجوهريّ قال حدثنا عمر بن شَبَّةَ عن أَحمد بن مُعاوية قال قال رجل : تصَفَّحْتُ كُتُباً فوجدتُ فيها بيتاً جهدْتُ أنْ أجِدَ مَن يُجيزُهُ فلم أجِدْ ، فقال لى صديقٌ : عَليك بِعِنانَ جاريةِ الناطفىّ . فأتيتُها فأنشدتُها : (٥ و)

وما زالَ يشكو الحُبَّ حتَّى رأيتُهُ تَنَفَّسَ من أَحشائِه وتَكَلَّما

قال : فما لبِثَتْ أنْ قالت :

ويَبكى فأبكى رحمةً لبكائِهِ إذا ما بكى دَمْعاً بكَيْتُ له دَما

وأَخْبرَ عن أحمد بن عبيد الله بن عمَّار عن عبد الله بن أبى سعد عن مسعود بن عيسى قال أخبرنى موسى بن عبد الله التميمىّ قال : دخل أبو نُواسٍ على الناطفى، وعِنانُ جاريتُهُ تبكى ، وخَدُّها على رَزَّةٍ فى مِصراع الباب وقد كان الناطفى ضَرَبَها . فأومأ إلى أبى نواس أنْ يُحَرِّكها بشىء . فقال أبو نواس : (٥ ظ)

عِنانُ لو جُدْتِ لى فإنِّىَ مِنْ عُمْرِىَ بما آمَنَ الرَّسُولُ بِما

يعنى: فى آخر عمرِه، لأنَّ ﴿آمَنَ الرَّسُولُ بِمَا أُنْزِلَ إليهِ مِنْ رَبِّهِ﴾ آخِرُ آيةٍ فى سُورَة البَقَرَة[1] . فرَدَّتْ عليه عِنانُ :

---

(١) سورة البقرة « الآية ٢٨٥ » وبعدها آيتان ، فليست آخر آية فى هذه السورة .

فإنْ تمادَى[١] ـ ولا تماديتَ ـ فى قَطْعِكَ حَبْلِى أَكُنْ كَمَنْ خَتَمَا

فردَّ عليها :

عَلِقْتُ مَنْ لَوْ أَتَى على أَنْفُسِ الـ ـماضِينَ والغابِرِينَ[٢] ما نَدِمَا

فردَّتْ عليه :

لَوْ نَظَرَتْ عينُهُ إلى حَجَرٍ وَلَّد فيهِ فُتُورُها سَقَمَا

وحدث[٣] عن جعفر بن قدامة عن أبى العيناء عن العباس بن رستم قال . دخلتُ أنا وأَبانُ[٤] اللاحقىّ على عِنان جارية الناطفىّ فى يوم من

---

(١) أصله « تتمادى » مضارع « تماديْتَ » فحذفت التاء المزيدة للتخفيف وبقيت تاء المضارعة ، والفعل مجزوم بإن الشرطية ، وحوفظ على الألف فى آخر الفعل لضرورة الشعر ، فإن حذفها للجزم يؤدى إلى كسر البيت .

(٢) أراد بالغابرين « الباقين » بدلالة مقابلة « الماضين » به وهذا هو الوجه الفصيح فى استعمال « الغابر » وهو الوارد فى القرآن الكريم ، وأما استعمال « الغابر » بمعنى الماضى وكونه من الأضداد « كتاب الأضداد لابن الأنبارى ص ١١١ » فناشىء من رأينا فى تصحيف « العابر » بالعين المهملة ، قال الجوهرى فى الصحاح : « وعَبَرَ القوم أى ماتُوا ، قال الشاعر :

فإن نَعْبُرْ فإنّ لنا لُماتٍ وإن نَغْبُرْ فنحنُ على نُذُور

يقول : إن متنا فلنا أقران وإن بقِينا فنحن ننتظر ما لابدّ منه كأنّ لنا فى إتيانه نَذراً » اهـ .

(٣) روى أبو الفرج هذا الخبر فى الأغانى « ٢٠ : ٧٦ » وأبو بكر الصولى فى كتابه الأوراق « ج ١ ص ٢٣ » طبعة المستشرق هيورث دن بمصر .

(٤) أبان بن عبد الحميد بن لاحق بن غفر مولى بنى رقاش شاعر بصرى مطبوع انتقل إلى بغداد واختص بالبرامكة ، ونظم كليلة ودمنة فى أربعة عشر ألف بيت وقدمه إلى يحيى بن خالد بن برمك فأعطاه مائة ألف درهم وعمل له كتاب=

الصيف وهى جالسة فى الخَيْش[١] فقال لها أبان :

لذَّة عيْشِ الصَّيْفِ فى الخَيْشِ[١] (٦ و)

فقالت :

لا فى لِقاء الجيش بالجيشِ

فقلت :

كل يوم بأُقْحُوانٍ جديدٍ تضحكُ الأرضُ عن بُكاء السّماء

فقالت :

فَهْيَ كالوشى مِن ثياب يمانٍ جَلَبَتْها التِّجارُ مِنْ صَنْعاء

فقال[٢] لَها مُعرِّضًا بها : ما أَحْسَنَ ما قال جَرير :

=المنطق بشعر أيضًا وأدب ابن المقفع ، وهو من أعيان الشعراء التعليميّين وأسبقهم إلى الشعر التعليمى « أوراق الصولى ١ : ١ — ٥٢ » ، والأغانى « ٢٠ : ٧٣ » ، وفهرست ابن النديم « ١٦٣ » ، وطبقات الشعراء المنسوب إلى ابن المعتز « ٢٠٢ ، ٢٠٤ ، ٢٤١ ، ٢٤٢ » طبعة دار المعارف بمصر ، والبيان والتبيين للجاحظ « ١ : ٥٠ » طبعة لجنة التأليف والترجمة ، والحيوان له « ٤ : ٤٤٧ — ٤٥١ » و « ٥ : ٢٤١ » طبعة مصطفى البابى الحلبى بمصر ، والعمدة لابن رشيق « ج ١ ص ٦٤ » طبعة مطبعة السعادة بمصر .

(١) الخيش : ثياب فى نسجها رقة وخيوطها غلاظ من مشاقة الكتان أو من أغلظ العَصْب جمعه أخياش وخيوش « القاموس » وهو معروف اليوم بمصر وعدة أقطار عربية .

(٢) فى الأصل « وفكرت طويلا حتّى قالت » وهو مخالف لسياق الخبر فصيَّرناه إلى ما ترى . وهذه التتمة نقلناها من ترجمة « بدعة الكبرى » الآتى ذكرها . لأن الناسخ أقحمها فى الورقة « ١١ » وهى من ترجمة بدعة .

ظلِلْتُ أُراعِى صاحِبَىَّ تَجَلُّدًا وقد عَلِقَتْنى مِن هَواكِ عَلُوقُ[1]

فقالت غير متوقفة :

إذا عَقَلَ الخوفُ اللِّسانَ تكلَّمتْ بأسراره عَيْنٌ عليه نَطوقُ

وعن جعفر بن قدامة وجَحْظَة قالا :

أنشدنا هبة الله بن إبراهيم بن المهدىّ قال أنشدنى أبى لعِنَان جارية الناطفى :

نَفْسِى على حَسَراتِها موقوفة فوَدِدْتُ لو خَرَجَتْ مَعَ الحَسَراتِ

لَو فى يَدَىَّ سِياقُ[2] أيامى إذًا خَطْرَفْتُهُنَّ[3] تعجُّلاً لوفاتى

لا خيرَ بَعْدَكَ فى الحياة وإنَّما أبكى مخافةَ أنْ تَطولَ حياتى

قال أبو الفرج : وهذه الأبيات رثت بها مَوْلاها النَطّاف .

---

(١) ورد هذا البيت فى ديوان جرير « ص ٣٩٧ طبعة الصاوى بمصر » من قصيدة قافية ، يمدح بها الحجاج ، على هذه الصورة :

بتُّ أرائى صاحبىَّ تجلدا وقد علقتنى من هـَواك علوق

(٢) فى الأصل « سباب » . والسياق هو الموافق للسياق .

(٣) قال الجوهرى فى الصحاح : « خطرف البعير فى سيره لغة فى خذرف إذا أسرع ووسّع الخطو بالظاء المعجمة » (كذا)ولا نري وجهًا إلا للخاء المعجمة وجاء فى المقاييس لابن فارس فى المنحوت من باب الخاء : « ومن ذلك تخطرف الشىء : إذا جاوزه وهى منحوتة من كلمتين : خطر وخطف لأنه يثب كأنه يختطف شيئًا . . . » . ولم يذكر الجوهرى فى « خذرف » ما يؤيد أن « خطرف » لغة فيه . وفى القاموس « خطرفَ : أسرع فى مشيته أو جعل خطوتين خطوة فى وساعته كتخطرف فيهما » وقال فى الخذروف : « وخذرف : أسرع » .

وروى أبو العَيْناء عَن الجَمَّاز وغيره أن أبا نُواسٍ ألقى على عنان جارية النَطَّاف بيتاً وهو(١) :

ذكر أبو الفرج أنَّ عِنَانَ خرجَتْ إلى مصر وماتت هُناك فى سنة ست وعشرين ومائتين .

٤ – غَضِيض جارية الإمام الرشيد

وأُمُّ ابنته حَمْدونة(٢) . ذكر أبو جعفر محمد بن جرير الطبرى فى تاريخه(٣) أن اسمها مُصَفَّى ، روت عن مَظلومة جارية عَبّاسة(٤) بنت المهدى ، وكانت حظيّةً عنده ، مقرّبة لديه ، ماتت فى خلافته .

(١) من هنا يتصل الخبر بأخبار « بدعة الكبرى » والأصل « بيتاً وهو هذه الأبيات . . . » والاختلال ظاهر عليه فقطعنا الخبر . ويظهر أن الكتاب ناقص لأننا لم نجد البيت الذى ألقاه عليها أبو نواس ولا جوابها عنه .

(٢) ذكرها أبو جعفر الطبرى فى تاريخه فى حوادث سنة « ٢١٠ هـ » وغيرها « ٣ : ٥٧٧ ، ٧٥٨ ، ١٠٨٣ ، ١٠٨٤ » . ولها ذكر فى تاريخ بغداد للخطيب البغدادى « ١ : ٩٤ » و « ٣ : ٣٩٢ » ، ومعجم البلدان لياقوت الحموى فى « دار فرج » منه .

(٣) فى تاريخ الطبرى « قصف » بكسر الصاد والظاهر أن « مصفى » تحريف قصف وقال الخطيب البغدادى فى تاريخه « ٣ : ٣٩٢ » : « محمد بن يوسف بن الصباح الغضيضى ، كان يتولى حمدونة بنت غضيض أم ولد الرشيد فنسب إليها . . . مات الغضيضىّ سنة تسع وثلاثين ومائتين » .

(٤) صاحبة القصة الموضوعة المختلقة مع جعفر بن يحيى البرمكىّ . تزوجها محمد بن سليمان بن على العباسى ونقلها إلى البصرة ، وأقطعها المهدى « الشرق » بالبصرة ، وتوفى عنها محمد فتزوجها محمد بن على بن داود بن على العباسى فمات =

(٦ظ)

٥ — هَيْلانَة[1] جارية الرشيد

أخذها من يحيى بن خالد البرمكيّ ، وكانت بديعة الجمال ، ظاهرة الكمال ، فحظِيَتْ عنده وأقامت معه ثلاث سنين ثم ماتت ، فوَجَد عليها وجداً شديداً ثم قال يرثيها[2] :

=عنها ثم أراد عيسى بن جعفر العباسي أن يخطبها فلم يتم ذلك وإليها نسبت سويقة العباسة ببغداد . « راجع كتاب سيدات البلاط العباسي لمحقق هذا الكتاب « ص ٣٧ » والمحمدون من الشعراء للقفطي « نسخة باريس ٣٣٣٥ الورقة ١٢٢ ، ومحاضرات السيوطي « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٢٩٧ الورقة ١٤٧ » . وسويقة العباسة من « معجم البلدان » والمعارف لابن قتيبة « ص ١٦٦ » وعيون الأنباء « ١ : ١٣٦ ، ٢ : ٣٥ » ومقدمة ابن خلدون « ص ٩ » وفتوح البلدان « ص ٣٦١» ومروج الذهب « ج ٢ ص ٢٨٦ » وأخبار بغداد « ١١٤ » وأخبار الحكماء « ص ١٤٧ » ومعجم الشعراء « ص ٤٤٩ » .

(١) في الأصل « هيلافة » وقد جاء ذكر هيلانة في عدة كتب ، قال ياقوت في « حوض هيلانة » من معجم البلدان : « هيلانة : بفتح الهاء وياء ساكنة وبعد الألف نون وهو اسم قهرمانة المنصور أمير المؤمنين ، وكانت ذات منزلة كبيرة عنده وقيل إنها سميت هيلانة لأنها كانت تكثر من قول (هي الآن) إذا استعجلت أحداً في شيء تأمره به ، وسميت هيلانة لذلك . وحفرت هذا الحوض بالجانب الشرقي وسَبَّلَتْه فنُسب إليها ، وبباب المحوّل من الجانب الشرقي (كذا والصواب الغربي) إقطاع لهيلانة أقطعها إياه المنصور . وذكر بعضهم أن هيلانة هذه كانت من حَظايا الرشيد وأنها حين ماتت حزن عليها كل الحزن حتى امتنع من الأكل والشرب ... إلى آخر القصة . وجزم ياقوت بأنها حظية الرشيد كما جاء في « ربض هيلانة » من معجم البلدان قال : « ربض هيلانة : بين باب الكرخ وباب محوّل ، وهيلانة إحدى حظايا الرشيد » . وقد استمد أكثر ذلك من تاريخ بغداد للخطيب « ١ : ٩٧ ، ٩٨ » . وذكر الشابشتي في الديارات أن « هيلانة كانت جارية الهادي ثم استخصّها الرشيد « ص ١٤٦ » .

(٢) ذكر الخطيب البيتين في تاريخه « ١ : ٩٨ » .

قد قلتُ لما ضَمَّنُوكِ الثرىٰ وجالت الحسرةُ فى صَدْرى :
« اِذْهَبْ فلا والله ما سَرَّنى بَعْدَكِ شىءٌ آخرَ الدَّهْرِ »

ورثاها العباس بن الأحنف بأربعين بيتاً[1] فأمرَ له الرشيد بأربعين ألف درهم لكل بيت ألف درهم ، وكانت وفاتها فى سنة ثلاث وسبعين ومائة .

٦ — عَرِيبُ المأمُونيّة[2]

قيل إنها ابنة جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى ، لما انتهت دولة البرامكة سُرِقَتْ وهى صغيرة وبِيعَت ، فاشتراها الأمين محمد بن الرشيد ثم اشتراها أخُوهُ المأمونُ عبد الله ، وكانت شاعرة مُجيدة ، ومُغنية مُحْسِنة . أنبأنى (٧ و)

(١) فى ديوانه أربعة أبيات منها « ص ٥٩ ، ٦٠ » طبعة الدكتورة عاتكة وهبى الخزرجى ، وفى معجم البلدان ثلاثة أبيات منها ، ورثاها أيضاً بأربعة أبيات أخرى كافية ؛ ذكرها الخطيب ، وجاءت فى ديوانه « ص ٢٠٨ » مقولة على لسان الرشيد يرثى جارية من غير تصريح باسمها .

(٢) قال شمس الدين الذهبى فى « المشتبه فى أسماء الرجال » : « وبالضمّ عُرَيْب : مغنية المتوكل لها أخبار » « ص ٣٥٩ » . وفى الجزء الثامن عشر من الأغانى شعر يدل على أن العين مفتوحة والراء مكسورة وهو :

لقد ظلموك يا مظلوم لما أقاموك الرقيب على عريب
ولو أولوك إنصافاً وعدلاً لما أخلوك أنت من الرقيب

وسيرتها فى الأغانى « ١٨ : ١٧٥ وما بعدها » ، والديارات « ص ٦٤ ، ٦٥ ، ٩٩ ، ١٠٥ » ، ونشوار المحاضرة « ١ : ١٣١ ، ١٣٢ » ، وأخبار بغداد لابن طيفور « ١٥٠ ، ١٥١ ، ١٦٩ ، ١٧٧ ، ١٧٩ » ، والوزراء والكتاب « ١٥٤ ، ١٥٥ » ، ووفيات سنة « ٢٧٧ » من كامل ابن الأثير ، ونهاية الأرب « ٥ : ٩٥ — ١١٢ » وأصواتها مبثوثة فى أكثر أجزاء كتاب الأغانى . ولها ذكر فى كتاب المحاسن والأضداد « ص ١٥٢ » . وطبقات الشعراء المنسوب إلى ابن المعتز « ص ٤٢٥ » .

أبو أحمد الأمين[1] عن ابن ناصر[2] قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصَّيْرفى أخبرنا إبراهيم بن عمر البرمكى أخبرنا عبيد الله بن محمد العُكبَرىّ حدثنا أبو بكر محمد بن القاسم الأنبارى قال حدثنى أبى قال حدثنا أبو هاشم حدثنا ميمون بن هارون الكاتب قال حدثتنى عَريبُ قالت :

وَجَّه أمير المؤمنين [الرشيد] إلى أهلى — تَعْنى البرامكة — وقد أوقَع بهم، وكانت تزعمُ أنَّها بنت جعفر بن يحيى ، [مَن] يسألهم عن أحوالهم

(١) اسمه عبد الوهاب بن على « راجع ص ٤٤ ج ١ » .

(٢) قال قوام الدين أبو إبراهيم الفتح بن على بن محمد البندارى الأصفهانى الأديب المنشئ المتوفى بدمشق ٦٤٣ وهو مترجم الشاهنامة إلى العربية ، فى كتابه « ذيل تاريخ بغداد » نقلاً من ذيل تاريخها لأبى سعد عبد الكريم بن محمد ابن السمعانى مؤلف الأنساب ، فى ترجمة ابن ناصر هذا : محمد بن ناصر بن محمد بن على بن عمر السَّلامى أبو الفضل ، كان يسكن درب الشاكرية من المحال الشرقية (ببغداد) . حافظ ثقة ، ديّن خير ، مُتقن متثبت، وله حظ كامل من اللغة ومعرفة تامة بالمتون والأسانيد ، كثير الصلاة ، دائم التلاوة ، مواظب على صلاة الضحى ، غير أنه يحبُّ أن يقع فى الناس ويتكلم فى حقهم ، وكان يطالع هذا الكتاب ويلحق على حواشيه بخطه ما يقع له من مثالبهم ، والله سبحانه يغفر لنا وله . . . » وذكر أنه توفى ببغداد سنة « ٥٥٠ » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٦١٥٢ الورقة ٨٤ » . وله ترجمة فى المنتظم لابن الجوزى « ١٠ : ١٦٣ » ومناقب أحمد بن حنبل له « ص ٥٣٠ » وأنساب السمعانى فى « السَّلامى » ، والكامل فى وفيات سنة « ٥٥٠ » ، ومرآة الزمان لسبط ابن الجوزى « مختصر ج ٨ ص ٢٤٥ » ، ووفيات الأعيان « ٢ : ٦٣ » ، وتذكرة الحفاظ للذهبى « ٤ : ٨١ » ، وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ١٢١ » ، والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٢٠ » والشذرات « ٤ : ١٥٥ » . ومن مروياته ديوان زهير بن أبى سلمى « راجع مقدمته ص ٤٠ ، ٤٢ » .

وأمره أن لا يُعلِمَهم أنه مِن قِبَلِهِ فصَار إلى الفضل بن يحيي عمّى فسأله وقال له : ما خبركم [و] ماحالكم ؟ فقال :

سألونا أَنْ كيف نحنُ فقلْنا مَنْ هَوىٰ نجمُهُ فكيف يكونُ ؟ !
نحن قَوم أصابنا عَنَتُ الدهـ ـر فظَلْنا لرَيْبِهِ نَسْتكينُ

وقال < أبو الفضل > أبو بكر الصولى : كانت عريبُ المأمونية تَدَّعى أنَّها بنت جعفر بن يحيي بن خالد من امرأة شريفة(١) ، ولها شعر وصَنْعَة فى أشعار كثيرة . ولغنائها ديوان مُفرد . مِن شعرها ، والصنعة فيه لها :

لا غَرَّنى بَعْدَكَ إنسانُ فقَدْ بَدَتْ لى منك ألوانُ
وإنْ تَغيّرت فما حِيلَتى مالى على قَلْبِك سُلطان ؟ !

وأنبأنى عبد الرحمن بن سعد الله الدَّقيقِى(٢) عن أبى القاسم بن

---

(١) قال جلال الدين السيوطى فى كتابه المحاضرات : « كان فى بغداد لا يقال شريف إلا للعباسىّ ، ويقال لذرية على علوىّ ولا يقال شريف » ، « نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٢٩٧ الورقة ٦٠ » ونسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٤٠٦ الورقة ٦٥ » ، والظاهر أن هذا الاصطلاح تطور فى العصر البويهى وما بعده بدلالة وجود الشريف الرضى والشريف المرتضى والشريف ابن الشجرى » من ألقاب ورجال العلويين ، وفى العصور الأخيرة لُقّب أمراء مكة العلويون بالشريف للواحد منهم وبالشرفاء والأشراف للجماعة .

(٢) جاء فى أنساب السمعانى واللباب : « الدقيقى : بفتح الدال وكسر القافين بينهما ياء مثناة من تحتها ، هذه النسبة أيضًا إلى الدقيق وبيعه وطحنه ... » وقولهما أيضًا إشارة إلى « الدقّاق » قالا : « الدقاق بفتح الدال المهملة وتشديد القاف وبعدها ألف ثم قاف أخرى ، هذه النسبة إلى الدقيق وعمله وبيعه . . . » وعبد الرحمن هذا عُرف بثلاثة أنساب « الدقيقى والدقاق والطحّان » قال أبو عبدالله =

(٨ و) السَّمَرقنديّ قال أخبرنا أبو منصور محمد بن محمد بن أحمد العُكْبَرِيّ أخبرنا أبو الحسن محمد بن الصَّلْت أخبرنا أبو الفرج الأصفهاني قال حدثني محمد بن مَزْيَد [بن أبي الأزهَر البُوشَنْجِيّ] ويحي بن عليّ قالا حدثنا حمَّاد بن إسحٰق قال : قال لي أبي :

ما رأيتُ امرأةً قط أَحْسَنَ وجهاً وأدباً ، وغِناءً وضرباً ، وشِعرًا ولَعِباً بالشِّطْرَنْج من عَريب ، وما تَشاءُ أنْ تجد خَصْلةً حسنةً ظَريفةً بارعة من امرأة إلا وجدتها فيها .

وبِه عن أبي الفرج الأصبهاني قال حَدَّثني جَحْظةُ قال حدثني علي بن يحي بن المنجّم قال :

خَرجتُ يوماً مِن حَضْرة المُعْتمِد فصِرت إلى عَرِيب ، فلما قَرُبْتُ مِن دارها أصابني مَطر بَلَّ ثيابي إلى أنْ وصلتُ إلى دارها ، فلما دَخَلتُ

=ابن الدبيثي في ذيل تاريخ بغداد : « عبد الرحمن بن سعد الله بن المبارك بن بركة الواسطيّ الأصل ، البغدادي المولد والدار ، أبو الفضل الطحان ، سمع أبا الفضل ابن ناصر وأبا المحاسن عبد الملك بن علي الهَمَذاني ، وكانت له إجازة من إسمعيل ابن السمرقندي وعبدالوهاب الأنماطي وأبي منصور بن خيرون وجماعة ، سمعنا منه ، قرأت على أبي الفضل عبد الرحمن بن سعد الله الدقاق » . وذكر بإسناده حديثًا ثم قال : « سمعت عبد الرحمن بن الواسطي ، يُسأل عن مولده فقال : في شعبان سنة خمس وثلاثين وخمسمائة ببغداد . وتوفي في يوم الأربعاء ثالث ربيع الأول سنة خمس عشرة وستمائة ودفن بباب حرب ، « نسخة كمبردج ٢٩٢٤ الورقة ٣٥ » ولم يعلم المفهرس أنه تاريخ ابن الدبيثي ، وقد حققنا ذلك وتأكد لنا . وترجمه الذهبي في تاريخ الإسلام « نسخة باريس ١٥٨٢ الورقة ٢١٧ ، ٢١٨ » . ووصفه بالطحان الدقاق ، وزاد على ما نقلنا أن الزكي البرزالي المحدث المشهور روى عنه أيضا .

إليها أمرَتْ بأخْذ ثيابي، وأُتيتُ بِخِلْعَة فَلَبِسْتُها وأُحْضِرْنا الطعامَ فأَكلنا، (٨ ظ)
وَدَعَتْ بالنبيذ، وأَخرجَتْ جَوارِيَها، ثم سأَلَتْنى عن خبر الخليفة فى
أمسِ ذلك اليوم وأَيْشٍ[1] كان صوتُهُ، وعلى مَن كان ؟ فأخبرتُها أن
بُنَانًا[2] غَنَّاه :

وذى كَلَفٍ بكَىٰ جَزَعاً وسَفْرُ القـوم مُنطلِقُ
بهِ قَلَقٌ يُمَلْمِلُهُ وكانَ وما بِهِ قَلَقُ
جوارِحُهُ على خَطَرٍ بنارِ الشوقِ تَحْتَرِقُ
جُفُونٌ حَشْوُها الأَرَقُ تَجَافَىٰ ثُمَّ تَنْطَبِقُ

فأمرَتْ صاحبًا لها بالمَسِير إلى بُنانٍ وإحضاره، فمضى إليه وجاء بُنان (٩ و)

(١) جاء فى المصباح المنير فى ش ى ء : « وقالوا أىّ شىء . ثم خففت الياء وحذفت الهمزة تخفيفاً ، وجُعلا كلمة واحدة . قاله الفارابى » . وقال الخفاجى فى شفاء العليل : « أيش بمعنى أى شىء ، خفف منه ، نَصَّ عليه ابن السيد فى شرح أدب الكاتب وصرّحوا بأنه سمع من العرب . وقال بعض الأئمة : جنبونا أيش . فذهب إلى أنها مولدة . وقول الشريف فى حواشى الرضى : إنها كلمة مستعملة بمعنى أى شىء وليست مخففة منها . ليس بشىء . . . وأيش فى معنى أى شىء كما يقال ويلُمِّه فى معنى : وَيلٌ لأمه ، على الحذف لكثرة الاستعمال « ص ١٥ » .

(٢) ضبط الذهبى فى المشتبه « بنانًا » ضَبط القلم بضم الباء وتخفيف النون المفتوحة « ٥٣ » وضبط مصححو كتاب الأغانى بدار الكتب المصرية « بنان بن عمرو المغنى هذا » بفتح الباء وتخفيف النون المفتوحة « ٩ : ٣٠٢ ، ٣٠٥ » ، وغيرهما . وفى القاموس « البنان : الأصابع أو أطرافها وماءة وجبل لبنى أسد وموضع بنجد . وبالضمّ موضع واسم جماعة ، فالظاهر أن ضمّ الباء هو الصواب ، وهكذا ورد الاسم فى نسخة الأصلُ .

مَعَه ، وقُدِّمَ إليه طعام ، فأكل وشرب ، وأُتِىَ بِعُود فاقترحَتْ عليه :

أَصابَ الوابِلُ الغَدِقُ　　　وصاحَ النرجِسُ الغَرِقُ
فهاتِ الكأسَ مُتْرَعَةً　　　كأنَّ حَبابَها حَدَقُ
تكاد بنور بَهجتها　　　حواشى الكأسِ تحترقُ
فقد غَنَّى بُنانُ لنا　　　«جُفونٌ حَشْوُها الأَرَقُ»

قال على بن يحي : فعدَلَ بُنان بِلحن الصوتِ إلى شِعْرِها ، وغَنَّاها فيه بقيَّةَ يومنا .

وبِهِ عن جعفر بن قدامة قال حدثنى عبد الله بن المعتزّ قال :

وقعَتْ إلىَّ رِقاع لِعَريب : مكاتبـاتٌ منثورة ومنظومة ، فقرأت رُقْعَةً منها إلى المأمون وقد خرجَ إلى فَمِ الصِّـلْح(١)

(١) بلدة كانت على فوهة نهر الصلح المتخلج من نهر دجلة فوق واسط من الجانب الشرقىّ ، قال ياقوت الحموىّ فى معجم البلدان : « فم الصِّلح . . . وأما الصلح فما أحسبه إلا مقصوراً من الصِّلاح بمعنى المصالحة وإلا فهو عجمى أو مرتجل ، وهو نهر كبير فوق واسط بينها وبين جَبُّل ، عليه عدة قرى ، وفيه كانت دار الحسن بن سهل وزير المأمون وفيه بنى المأمون ببُوران ، وقد نسب إليه جماعة من الرواة والمحدثين وهو الآن [٦٢٦ هـ] خراب إلا قليلاً » . وقال ابن رسته فى الأعلاق النفيسة : « . . . فم الصلح وهى مدينة على شرقى دجلة وبها مسجد جامع وأسواق » «ص١٨٧» ، وقال ابن خلكان فى ترجمة بوران «١ : ١٠١» : «وفم الصلح بفتح الواو وبعدها ميم وكسر الصاد المهملة وبعد اللام الساكنة حاء مهملة وهى بلدة على دجلة قريبة من واسط ، كذا ذكره السمعانى ، وقال العماد الكاتب فى الخريدة : الصلح نهر كبير يأخذ من دجلة بأعلى واسط عليه نواح كثيرة وقد علا النهر وآل أمر تلك المواضع والنواحى إلى الخراب . قلت : والعماد أخبر بذلك=

لِزِفاف بُوْران[١] :

إنْعَمْ تَخَطَّتكَ صُرُوفُ الرَّدَى بقُرب بُورانَ مَدَى الدَّهْرِ
درَّة خِدْرٍ لم يزَلْ نجمُها بنجم مأمون العُـلا يَجْرِى
حتى استقرَّ المُلْكُ فى حِجْرِها بُوْرِكَ فى ذلك مِن حِجْرِ

وحَدَّث على بن شاذان الكاتب قال قالت عَريب جارية المأمون :

كُنْتُ مع الواثق وهو يطوف على حُجَر جواريه عند خروجه إلى الأنْبارمتنزِّهًا ، فدخل إلى فَرِيدَة : جاريةٍ كان يحبُّها جدًّا ، وكان يَهوَى أيضاً وصيفةً لها ، لم يكُنْ يعلم بذلك غيرى . فلما رأتْه عند مَولاتها دَخَلَتْ خِزانتَها وخرجَتْ وقامَتْ على رأسِ فريدة ، وعلى رأسها عِصابةٌ مكتوبٌ عليها بالذهب :

= من السمعانى لأنه أقام بواسط زمانًا طويلاً، يتولى بها». ولا تعارض بين القولين فإنِ الخراب الذي ذكره العماد الأصفهانى مضاف إلى مواضع نهر الصلح ونواحيه لا إلى بلدة الصلح الراكبة على النهر وعلى دجلة ، فالسمعانى كما جاء فى « الصلحى » من أنسابه يقول : « الصلحى هذه النسبة إلى فم الصلح وهى بلدة على دجلة بأعلى واسط بينهما خمسة فراسخ أقمتُ بها ساعة فى انصرافى من واسط والبصرة وسمعتُ بها الحديث من أبى السعادات الواسطى . . . » فالسمعانى كان قد رآها وأقام بها ساعة . وقد زالت اليوم وعفا النهر ونسيت أسماؤهما .

(١) بوران وتسمى أيضا « خديجة » ستأتى ترجمتها فى موضعها من الكتاب وقد ولدت سنة ١٩٢ وتوفيت سنة « ٢٧١ » وأخبارها ، فى تاريخ الطبرى ومروج الذهب وأخبار بغداد لابن طيفور والديارات للشابشتى والوفيات لابن خلكان والنجوم الزاهرة وأنساب السمعانى فى « الصلحى » منه ، والمنتظم لابن الجوزى . وكتابى سيدات البلاط العباسى « ص ٥٢ » .

عَيْنَىَ تَبكى حَذَر البَيْنِ   ما أسخَن الفُرْقَةَ للعَيْنَ !
لم أرَ فى الُحبِّ ولَوْعاتِهِ   أَوْجَعَ مِنْ فُرقَةِ إلْفَيْن (١٠ و)

فقال لى الواثق : فَهمتِ يا عَرِيب ؟ قلت : نَعمْ يا سيدى . فكتب على الأرض بقضيب كان فى يده :

ظَهرَ الهوٰى وتَهتكتْ أَستارُهُ   والحُبُّ خيرُ سَبيلِهِ إظهارُهُ
فاعصِ العواذل فى هواكَ مُجاهِراً   فألذُّ عَيشِ المستهامِ جِهارُهُ

لحفظتُ الأبياتَ ، وتضاحَكْنا ، ففَطَنَتْ فَرِيدَة[1] ، فقالت : يا سيدى علمتُ ما أنْتُما فيه ، فامْنُنْ على أَمَتِك بقَبولها . فقال الواثق : قد فَعلْتُ ، خُذِيها إليكِ يا عريب . فأخذتُ بيدها ، فما ملك نفسَه أن انصرف من خَلْفى مُسرِعاً وخلا بها ، وأَمَر لى بألف دينار .

ذكَر عبيد الله[2] بن أحمد بن أبى طاهر أنَّ عَرِيبَ جارية المأمون

---

(١) أخبارها فى الأغانى « ٤ : ١١٣ — ١١٩ » طبعة دار الكتب المصرية ولها أخبار متفرقة فى الأجزاء الأخرى ، ولها ترجمة فى كتابى سيدات البلاط العباسى « ص ٦٤ » ؛ ولها ذكر فى كتاب الديارات للشابشتى « ص ٨ ، ٩٩ » .

(٢) فى الجزء الأول من معجم الأدباء « ١ : ١٥٢ » ترجمة والده أبى الفضل أحمد بن أبى طاهر طيفور مؤلف كتاب « تاريخ بغداد » فى أخبار الخلفاء والأمراء وأيامهم ، وقد طبع قسم منه ، والظاهر أن ترجمة عبيد الله هذا فقدت فيما فقد من معجم الأدباء ، وقد ذكره الصفدى فى الوافى بالوفيات قال : « عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر طيفور أبو الحسين ، توفى سنة ثلاثة عشرة وثلاثمائة ، وكان أحذق من أبيه ، ومن تصانيفه الذيل على تاريخ أبيه فى أخبار بغداد ، كتاب السكباج وفضائله ، كتاب المستظرفات والمستظرفين » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٩٧ » . وهذه الترجمة منقولة من كتاب الفهرست لابن =

توفيت فى شهر ربيع الآخر سنة سبع وسبعين ومائتين . وذكر غيرُهُ أنَّ وفاتها كانت بسُرَّ مَنْ رأى عن ست وتسعين سنة . لأن مولدها فى (١٠ظ) سنة إحدى وثمانين ومائة .

٧ — بِدْعَةُ[1] الكبيرة جارية عَريب

مَولاة الإمام المأمون ؛ ذكر أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى أنها كانت أحسَن أهلِ دهرها وجهاً وغِناءً ؛ وكانت تقول شعرًا لَيِّناً يُسْتَحْسَنُ مِن مِثلها . وذكر ثابتُ[2] بن سِنان بن قُرَّة الطبيب الصابى

= النديم « ص ٢١ » وفيه كتاب « المتظرفات والمتظرفين » بدلاً من تلك التسمية وفى كتب التاريخ والأدب نقل كثير من كتب عبيد الله هذا وكتب أبيه . والظاهر أنّ المؤلف ابن الساعى نقل فى ترجمة « عريب» من كتاب المتظرفين والمتظرفات ، المقدم ذكره . وقال القفطى فى الكلام على التاريخ : « وإذا أردت التاريخ متصلاً جميلاً فعليك بكتاب أبى جعفر الطبرى — رضى — فإنه من أول العالم إلى سنة تسع وثلاثمائة ، ومتى شئت أن تقرن به كتاب أحمد بن أبى طاهر وولده عبيد الله فنعم ما تفعل لأنهما قد بالغا فى ذكر الدولة العباسية وأتيا من شرح الأحوال بما لم يأت به الطبرى بمفرده وهما فى الانتهاء قريبا المدة، والطبرى أزيد منهما قليلاً » . « أخبار الحكماء ص ٧٧ من طبعة مصر » .

(١) لها أخبار فى تاريخ أبى جعفر الطبرى « ٣ : ٢٢٩٣ » وصلته لعريب « ص ٢٨ »، ونشوار المحاضرة « ١ : ١٣٢ » و « ٨ : ٢٠ »، والديارات « ص ٦٤ ، ٩٩ » ، والمنتظم « ٦ : ١٢٩ »، والكامل فى وفيات سنة « ٣٠٢ »، والأغانى « ١٩ : ١٢٥ طبعة ساسى » . وهى غير بدعة الصغرى « نشوار المحاضرة ١ : ٥٠ » .

(٢) أخبار الحكماء للقفطى « ٧٧ ، ٧٨ » وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء لابن أبى أصيبعة « ١ : ٢٢٤ ، ٢٢٥ وغيرهما » . والكامل فى حوادث سنة ٣٦٥ =

فى تاريخه : أنَّ إسحٰق بن أيُّوب التغلبىّ بذل فيها لِعَريب مَولاتِها مائة ألفِ دينار ، على يدَى أبى الحسن على بن يحيى المنجِّم ، وَلِسَفارتِهِ فى ذلك عشرين ألف دينار ، فلما خاطب على بن يحيى عَريب فى ذلك دَعَتْ بدْعَةَ وعَرَّفتْها إياه وسألَتْها هل تُحِبُّ وتختار البيْع ؟ فَعرَّفتها أنَّها لا تختارُه ، فردَّت المال وأَعْتقتها مِن وقتِها . (١١ و)

وحَدَّث أبو الفرج الأصفهانى عن عَرَفَة وكيل بدْعَة قال :

لما قدِم المعتضدُ من الشام ومعه وَصِيفٌ الخادِمُ[1] دَخَلَتْ إليه بِدعَة فى أول يومٍ جَلَسَ فيه ، فقال لها : يا بدعةُ أما ترين الشيب كيف قد

= ووفياتها . والنجوم الزاهرة « ٤ : ١١١ » ووفيات الأعيان فى ترجمة ثابت بن قرة « ١ : ١٠٨ » وتاريخ مختصر الدول لابن العبرى « ص ٢٧٥ ، ٢٩٦ » وشذرات الذهب « ٣ : ٤٤ » . قال القفطى وهو العالم الأديب : « عمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور فى الآفاق ، الذى ما كتب كتاب فى التاريخ أكثر مما كتب ، وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين إلى حين وفاته (كذا) فى شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم ، ولولاهما لجهل شىء كثير من التاريخ فى المدتين » وذكر بعد ذلك كلاماً نقلناه فى «ص ٦٣ فى الحاشية» ثم قال بعد ذكره ذيل عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر طيفور : « ثم يتلو ذلك كتاب ثابت فإنه يداخل الطبرى فى بعض السنين ويبلغ إلى بعض سنة ثلاث وستين وثلاثمائة » .

(١) قال السمعانى فى الأنساب : « الخادم . . . هذه اللفظة اشتهر بها الخصيان الذين يكونون فى دور الملوك وعلى أبوابهم ويختصون بخدمة الولد ، يقال لكل واحد منهم الخادم . . . » . وقد اختصر ابن الأثير كلام السمعانى فى لباب الأنساب . ووصيف هذا هو مملوك محمد بن أبى الساج أراد الاستقلال بالبلاد المتاخمة لبلاد الروم كبرذعة وملطية سنة ٢٨٧ هـ . فسار إليه المعتضد وحاربه فأسره فى السنة عينها ، وهو غير وصيف التركى المشهور المقتول سنة « ٢٥٣ » . « راجع الكامل فى حوادث السنتين المذكورتين » .

اشتعل فى لِحْيَتى ورأسى ؟ فقالت له : يا سيّدى عَمَّرك الله أبداً حتى تَرى وُلْدَ وَلَدِك قد شابُوا ، فأنت فى الشيب أحسن من القمر .

وفكّرت طويلًا حتى قالت[1] هذه الأبيات : (١١ظ)

ما ضرَّك الشيبُ شيئاً ... بَلْ زِدتَ فيه جَمالا (١٢و)

قد هذَّبتك الليالى ... وَزدتَ فيها كَمالا

فعِشْ لنا فى سُرور ... وأنْعَمْ بِعيشكَ بالا

تَزيد فى كُلِّ يَوْمٍ ... وليلةٍ إقبالا

فى نِعْمةٍ وسُرور ... ودَوْلَة تَتعالى

قال : فوصلها ذلك اليوم صِلة سنيّة وحَمَّل معها ثياباً كثيرة ، وطِيباً كثيرًا .

وحَدَّث عن عرَفة أيضاً قال :

لما قدم المعتضدُ من حرب وَصِيفٍ وجاءَ بِهِ دَخَلَتْ عليه بِدْعةُ فقالت : يا سيدى شيَّبَتْكَ واللهِ هذه السَّفْرة . فقال : دُونُ[2] ما كنتُ فيه يُشيبُ . فلما انصرفت قالت هذا الشعر وغنَّتْه : (١٢ظ)

---

(١) ها هنا أقحم الناسخ خبراً من أخبار « عنان جارية الناطفى » وقد شعرنا بقلقه ومباينته للسياق فألحقناه بترجمتها ، ووصلنا بين طرفى خبر « بدعة » على النحو الذى تراه هاهنا وهو الأصل الصحيح .

(٢) دونُ ها هنا اسم يتحمل الابتداء وهو بمعنى « أقل » فمعنى قوله هذا « أقلُّ ما كنت فيه يُشيب » فدون مبتدأ مرفوع وجملة « يشيب » خبرُهُ ، قال الزمخشرى فى أساس البلاغة : « وشىء دونٌ : هين » . وقال ابن فارس فى=

إنْ تَكُنْ(١) شِبْتَ يا مَلِيكَ البرايا   لأمور عانَيْتَها وخُطوبِ
فلقد زادَكَ المشيبُ جَمالًا   والمشيبُ البادى كمالُ الأديبِ
فابقَ أضعافَ ما مضى لك فى عِزٍّ   ومُلْكٍ وخَفْضِ عيْشٍ وطِيبِ

فطَرِب المعتضد ووصلَها وخلع عليها .

وحدَّث محمد بن عمران المرْزُبانى عن المظفَّر بن يحيى الشرابىّ عن عَرفة صاحب بِدْعَة أنَّه دخل عليها وعينها رَمِدَة وهى تأكلُ باذِنْجاناً بُورانيّاً، قال : فقلت لها : أتأكلين هذا وعينك شاكية ؟ قالت : وإذا أَحبَّ الإنسانُ من يُؤذيه يَتْرُكه ؟

ذكر ثابت بن سِنان بن قُرَّة فى تاريخه :

أَنَّ بِدْعَة الكبيرة جارية عَريب تُوفِيَتْ لِستٍّ بَقِينَ من ذى الحجَّة (١٣ و) سنة اثنتين وثلاثمائة ، وصلَّى عليها أبو بكر بن المهتدى بالله.

= المقاييس : « ويقولون: أمر دون وثوب دُوْن أى قريب القيمة قال القتبىّ : دان يدون دوناً إذا ضعف وأدينَ إدانة ، وأنشدوا : « وعلا الرَّبْرَبَ أزْمٌ لم يُدَنْ » أى لم يضعف ، وهو عنده من الشىء الدون أى الهين ، فإن كان صحيحاً فقياسه ما ذكرناه» . وشواهد« دون » بمعنى « أقل » كما ذكرنا آنفاً أو « أقل من » تراها فى الإمتاع والمؤانسة « ١ : ٧ » وفى « هضم » من أساس البلاغة، والأغانى « ٤ : ٣٤٣ » وتاريخ الطبرى فى حوادث سنة ١٢٠ ص ٢٥٠» . ومعجم الأدباء «مختصر ج٧ ص١١٦» ومصارع العشاق « ص ٣٠٣ » والمنتظم « ٨ : ٣٣ » وشاهده هذا البيت :

إذا شئت أن تحيا غنيًّا فلا تكن   بمنزلة إلا رضيت بدونها

أى بأقل منها ، وفى « كوح » من الصحاح » قال الراجز :

أعددته للخصم ذى التعدّى   كوَّحته منك بدون الجُهْد

أى بأقل الجهد . وله شواهد أخرى كثيرة يضيق ببسطها المكان .

(١) فى الأصل « إن كنت » وهو غير مستقيم لأن البحر هو الخفيف .

٨ – بُوْران[1] بنت الحسن بن سَهْل وزير المأمون

ذكر أبو بكر محمد بن يحيي الصُّوْلى أنَّ اسمَها خديجة وتعرف ببوران . ذكر أبو جعفر بن جرير الطبرى أنَّ المأمون تزوَّجها فى سنة اثنتين ومائتين وَبنى بها فى شهر رمضان من سنة عشر ومائتين بِفَم الصِّلْح ، فلما دخل عليها نَثَرت عليها جَدَّتها ألف دُرَّة كانت فى صِينيّة ذهب . فأمر المأمون أن تُجمَع ، فجُمِعَتْ كما كانت فى الطَّبَق ، ووضَعَها فى حِجْر بُوران وقال : هــذه نِحْلَتُك[2] واسألى حوائجك . فقالت لها جدَّتُها : كلّمى سيدى واسأليه حوائجك فقد أمرَكِ . فسألته الرضا عن إبراهيم (١٣ظ) ابن المهدىّ ، فقال : قد فعَلْتُ وسألته الإذْنَ لأم جعفر [زُبَيْدة] فى الحجّ ، فأَذِنَ لها ، وألبَسَتْها أم جَعْفر البَدَنَة[3] الأُمَويَّة . وابتنى بهـا

(١) تقدم ذكرها فى سيرة عريب « ص٦١ » وذكرنا هناك مظان ترجمتها .

(٢) قال الجوهرى فى الصحاح : « ونحلتُ المرأة مهرها عن طيب نفس من غير طلبة أنحلها ، ويقال : من غير أن تأخذ عوضًا . يقال : أعطاها مهرها نِحلةً بالكسر . وقال أبو عمرو : هى التسمية وهى أن يقول : نحلتُك كذا وكذا . فيحد الصداق ويبينه » .

(٣) هذا قول أحمد بن أبى طاهر فى أخبار بغداد « ص ١١٥ » وقول أبى جعفر الطبرى بنصه ولم يذكرا حقيقة البدنة ، والبدنة قميص لؤلؤ وجوهر وهى مأخوذة من البدن وهى الدرع القصيرة .

وقد فصل أمر البدنة الشابشتى فى الديارات قال فى عرس الرشيد وزبيدة : « وأعطاها بدنة عبدة بنت عبد الله بن يزيد بن معاوية امرأة هشام ولم يُرَ فى =

مِن ليلته . وأُوقِدَ فى تلك الليلة شَمعَةُ عَنْبَرَ فيها أربعون مناً فى تَوْر ذهب . وأقام المأمون عند الحسن بن سهل سبعة عشر يوماً ، يُعِدُّ له الحسن فى كل يوم ولجميع مَن معه ما يحتاجون إليه[١] ، وخلع الحسن على القُواد ، على مراتبهم ، وحَمَلهم وَوَصَلهم ، وكان مبلغ النفقة عليهم خمسين ألف ألف درهم . وأمر المأمون بعد انصرافه أن يُدفع إلى الحسن عشرة آلاف دينار[٢] من مال فارس ، وأقطعه الصِّلح ، فحُمِلَتْ إليه على المكان ، وكانت مُعَدَّة ، فجلس الحسن ففرَّقها فى قواده وأصحابه وحشمه وخدمه . (١٤ ر)

= الإسلام مثلها ومثل الحب الذى كان فيها ، وكان فى ظهرها وصدرها خطان من ياقوت أحمر وباقيها من الدر الكبار الذى ليس مثله » . « ص ١٠٠ » وقد ذكر هذه البدنة التجانى فى تحفة العروس ومتعة النفوس نقلا من تاريخ بغداد لأحمد بن أبى طاهر المذكور » نسخة مكتبة الأوقاف ببغداد ٣٦٧ الورقة ٢٢ » وجاء ذكرها فى كتاب « مطالع البدور فى منازل السرور » . « ص ١٢٩ » وللبدنات الجوهر ذكر فى المنتظم « ١ : ٢٧ » ومرآة الزمان « مختصر ج ص ١٢٠ » ونهاية الأرب « ١٤ : ٤١ » . وكانت البدنة أيضًا ضربًا من ثياب الخلفاء بمصر « خريدة القصر ، القسم المصرى ٢ : ٨٥ » وصبح الأعشى « ٣ : ٤٩٨ » .

(١) قال أبو العباس محمد بن يزيد المبرد فى الكامل : « وحدثنى الحسن ابن رجاء قال : قدم علينا على بن جبلة إلى عسكر الحسن بن سهل ، والمأمون هناك بانيًا على خديجة بنت الحسن بن سهل المعروفة ببوران ، قال الحسن ونحن إذ ذاك نُجرى على نيف وسبعين ألف ملاح ، وكان الحسن بن سهل يسهر مع المأمون وكان المأمون يتصبح ، فيجلس الحسن للناس إلى وقت انتباهه . . . » « طبعة الدلجمونى الأزهرى ١ : ٢١٦ » . والمراد الإشارة إلى كثرة الملاحين .

(٢) هكذا ورد ما فى النسخة ، وفى أخبار بغداد المقدم ذكره « وأمر المأمون غسان بن عباد عند منصرفه أن يدفع إلى الحسن عشرة آلاف ألف من مال فارس وأقطعه الصلح » . يعنى من الدراهم ، وهذا هو المعقول المقبول .

وذكر أحمد بن الحسن بن سهل قال : كان أهلنا يتحدثون أنَّ الحسن ابن سهل كتب رقاعاً فيها أسماء ضياعه ، ونثرها على القواد وعلى بنى هاشم فمَن وقعت فى يده رقعة منها فيها اسم ضيعة بعث فتسلَّمها .

وذكر أبو عبد الله الجَهْشِيارىّ أنَّ عبد الواحد بن محمد حدَّثه عن على بن سهل بن أَبان مولى الحسن بن سهل قال[1] : نثر الحسن يوم الإملاك بَنادق العَنبر ، فاستبرد الناس ذلك ، فأمر بكسرها واستخراج ما فيها ، ووكل بكلّ مَن التقط رجُلا يوفّيه ما فى بُندقته ، فلما كسرت البنادقُ وُجد فيها رِقاع ، فقبضَ كل من وجد رُقعةً ما فيها من عَقار أو غيره . فقال إبراهيم بن العباس :

لِيَهْنِئك أَصْهارٌ أُذِلَّتْ بِعِزِّها خُدُودٌ[2] وجَدَّعْنَ الأُنوفَ الرَّواغما
جَمَعْتَ بها الشَّمْلين من آل هاشمٍ وحُزْت بها للكِسْرَوىّ المكارما
بَنُوكَ بها آلُ النبىّ ووارثو[3] الـخِلافةِ والحاْذُونَ كسرىٰ وهاشما

(١) لم نجد هذا الخبر فى المطبوع من كتاب « الوزراء والكتاب » للجهشيارى والمطبوع ناقص كما هو معلوم ، وكذلك القول فى أخبار نقلت منه فى معجم الأدباء « ٥ : ٤٥٦ » و « ٦ : ٨٨ » وفى معجم البلدان مادة « ماذرايا » وبدائع البدائه « ص ٢٧ ، ٨٣ » والتاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق « الورقة ٩٠ ، ١١٤ » . وسيأتى خبر آخر فى « ص ٧٠ » .

(٢) فى الأصل « جدود » ولا نراه مناسبًا للمقام ، لأن الخدود المصعرة هى التى تُذل .

(٣) فى الأصل « وأورثوا » وهو غير موافق للمعنى المراد ، لأن الصولى أراد أن أحفاده المرجوّى الولادة من ابنته بوران والمأمون هم من أبناء آل النبى .

وروى الصولىّ عن عون بن محمد قال حدثنى عبدالله بن أبى سهل قال :

لما بنى المأمون على بُوران بنت الحسن بن سهل وانحدر إليهم إلى ناحية واسط فُرِش يوم البناء حَصير من ذهب مسفوف ونُثِر عليه جوهر كثير فجعل بياض الدُّرِّ يُشرِق على صفرة الذهب ، وما مَسَّهُ أحد ، فوجَّهَ الحسنُ إلى المأمون « هذا نِثارٌ ونُحِبُّ أنْ يُلقط » . فقال المأمون لمن حولَه من بنات الخلفاء : « شَرِّفْنَ أَبا محمد » . فمدَّتْ كلٌّ واحدة منهن (١٥ و) يدها فأخذت دُرَّةً ، وبقِىَ باقى الدُرِّ يلوح على الحصير الذهبِ . فقال المأمون : قاتل الله أبا نُواس ، لقد شبَّهَ بشىء ما رآه قَطّ ، فأَحسَن فى وصف الخمر والحَباب الذى فوقها فقال :

كأنَّ صُغرىٰ وكُبرىٰ من فقاقِعِها   حَصْباءُ دُرٍّ على أَرض من الذهبِ

فكيف لو رآه مُعايَنةً ؟ وكان أبو نُواسٍ فى هذا الوقت قد مات .

وحدث أبو على الكوكبِىّ قال : حدثنى أبو الفضل الرَّبَعِىّ عن أبيه قال :

لما تزوَّج المأْمون بوران ابنة الحسن بن سهل أَراد أن يَفْتَضَّها فلما كاد حاضَتْ فقالت: ﴿أَتَىٰ أَمْرُ اللهِ فَلا تَسْتَعْجِلُوهُ[1]﴾ ففَهِم المأْمون قولَها ، فوثبَ عنها . (١٥ ظ)

ذكر الجهشيارىّ[2] أَنَّ أبا عبد الله بن حمدُون ذكر أنَّ بوران

---

(١) سورة النحل ، الآية « ١ » .

(٢) لم نجد كذلك هذا الخبر فى المطبوع من كتاب الوزراء والكتاب للجهشيارى المذكور وما أكثر المفقود منه !!

بنت الحسن قالت ترثى المأمون :

أَسْعِدانى على البُكا مُقْلَتَيَّا صِرتُ بعد الإمامِ للهَمِّ فَيَّا
كنت أَسطو على الزمان فلما مات صار الزمانُ يَسطو عَلَيَّا

ذكر هلال بن المحسِّن الكاتب أنَّ بوران بنت الحسن بن سهل وُلدت ليلة الاثنين لليلتين خَلَتا من صفر سنة اثنتين وتسعين ومائة. وذكر عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر أنَّ بوران توفيت يوم الثلاثاء لثلاث بَقِين من شهر ربيع الأوَّل سنة إحدى وسبعين ومائتين، وقد بلغتْ من السنِّ ثمانين سنة. قلت: وكانت وفاتها ببغداد لأنَّها كانت تسكن بالقصر الحَسَنىّ المنسوب إلى أبيها الحسن بن سهل، وهذا القصر (١٦ ر) كان أولًا يُسمّى القصر الجَعْفَرىّ نسبة إلى جعفر بن يحيى بن خالد البرمكى، وهو أول بناء وضع فى قديم الزمان بمدينة السَّلام[1]. أخبرنى

(١) لعل المؤلف أراد : أول بناء وضع فى شرقى بغداد الذى عرف بدار الخلافة العباسية الأخيرة ، قال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد : « ذكر دار الخلافة والقصر الحسنى والتاج : حدثنى أبو الحسين هلال بن المحسن قال : كانت دار الخلافة التى على شاطئ دجلة تحت نهر مُعَلّى قديمًا للحسن بن سهل وتسمى القصر الحسنى ، فلما توفى صارت لبُوران بنته فاستنزلها المعتضد بالله عنها . . . » « ١ : ٩٩ » وقال فى — ص ٩٨ — : « . . . وأما شاطئ دجلة منَ الجانب الشرقىّ فأوله بناء الحسن بن سهل وهو قصر الخليفة فى هذا الوقت » . وورد قريب من ذلك فى مختصر مناقب بغداد « ص ١٥ » وجاء فيه « واستنزلها عنها المعتضد وقيل المعتمد » والصحيح أنه المعتمد لأنها لم تعش إلى خلافة المعتضد وأولها سنة « ٢٧٩ هـ » ولأن المعتمد هو الذى نقل قرار الخلافة من سامرا إلى بغداد .

أبو القاسم على[١] بن عبد الرحمن بن على إذْنًا عن أبى محمد[٢] عبد الله ابن الخشاب النحوى قال حدثنا أبو القاسم الرَّبَعِىّ أخبرنا أَقْضَى القضاة أبو الحسن الماوَرْدِىّ أخبرنا أبو على الأَزدىّ حدثنا أبو جزٍ[٣] قال حدثنا أبو العَيناء قال[٤] :

كان جعفر بن يحيى البرمكىّ شديد الشغَف بالإخوانِ ، كثير المحبَّة للقِيان ، قد أعطى اللذات قِيادَه ، وجَعَل مواسم القصف واللهو أعيادَه ،

---

(١) قال ابن الدبيثى فى تاريخه : « على بن عبد الرحمن بن على بن محمد ابن على بن الجوزى أبو القاسم بن شيخنا أبى الفرج بن أبى الحسن الواعظ سمع فادة أبيه فى صباه وبنفسه من جماعة . . . وتكلم فى الوعظ ثم تركه ، سمعنا منه . . . سمعت أبا القاسم بن الجوزى يقول : مولدى فى شوال سنة إحدى وخمسين وخمسمائة » . « نسخة كمبريج ٢٩٢٤ الورقة ١٤٤ » وتوفى سنة « ٦٣٠ » كما فى التكملة لوفيات النقلة « نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ١ ص ١٣٤ » وكما فى البداية والنهاية فى حوادث هذه السنة وكما فى الشذرات « ٥ : ١٣٧ » .

(٢) فى الأصل « عن محمد بن عبد الله بن الخشاب » وذلك خطأ ، وهو النحوى الأديب المشهور ، توفى سنة « ٥٦٧ » كما فى المنتظم وخريدة القصر للعماد الأصفهانى ومعجم الأدباء ومرآة الزمان والكامل وإنباه الرواة للقفطى والمستفاد من ذيل تاريخ بغداد ووفيات الأعيان وتاريخ أبى الفداء وتاريخ اليافعىّ وذيل طبقات الحنابلة والنجوم الزاهرة وبغية الوعاة والشذرات .

(٣) كذا ورد فى الأصل وفيه نقصان أو تصحيف .

(٤) ذكر ياقوت الحموىّ فى مادة « التاج » من معجم البلدان شبيهًا بهذا الخبر من غير إسناد ، وكان القصر الحسنى والتاج وقصور دار الخلافة الأخرى ومرافقها فى الشارع المعروف اليوم بشارع المستنصر بالله فى بغداد الشرقية وقبل ذلك عرف بشارع النهر أى نهر دجلة ، ولم يبق أثر من كل ذلك ولا طلل لاستهداف تلك الأبنية للرطوبة والغرق ولكون أكثرها مبنياً بالآجر أى الطوب .

وكثر ذلك منه ، واشتهر عنه ، وتكلّم الأعداء فيه بسببه ، فخلا به والدهُ ، وأنكر عليه فعله وقال له : إذا لم تكن لك قدرة على الاستتار فى (١٦ظ) لهوك وشربك ، والكتم لمجالس أنسك ولعبك ، فاتخذ لنفسك قصرًا بالجانب الشرقىّ ، تجمع فيه نُدَماءك وقيانك ، وتقطع معهم زمانك ، وتبعُد عن أعين العامّة ، وتخفى أمورك على أكثر الخاصّة ، ويقلّ القول فيك ، وينقطع الكلام عنك ، ويكون أصلح لشأنك عند سلطانك .

فعمد جعفر إلى الجانب الشرقىّ واتخذ به قصرًا شيّد بناءه ، وأوسعَ فِناءه وفضاءه ، واتخذ فيه بُستانًا ذا رياض مُخصبة مَرِيعَة ، وغرسَ به من أنواع الشجر ما يُثْمر بكلّ ثمرة بديعة ، وبالغ فى إنفاق الأموال ، وجَمَع الصُّنّاع والرجال ، فلما قارب الفراغ من بنائه ، صار إليه ومعه (١٧و) أصحابه ، وفيهم مؤنس بن عمران ، وكان عاقلًا لبيبًا كاملاً ، فطاف به واستحسنه ، وقال من حضر من أصحابه فى ذلك فأكثروا القول ، ومؤنس ساكت ، فقال له جعفر : مالك لا تتكلّم؟ قال : فى ماذا؟ قال : فيما قال أصحابنا . قال : كفانى قولهم ولا زيادة فيه . وكان جعفر ذكيًّا ، فعلم أنّ تحت قول مؤنس معنًى ، فقال : وأنت أيضًا فَقُلْ . قال : هو ما قالُوا . قال : أقسمت عليك لَتَقُولَنَّ . فقال له : إذ أَبَيْتَ إلا أن أقول فتصبر على الحقّ ؟ قال : نعم قال : أُريدُ خَلْوَة . فلما خلا بِهِ قال : أُطيل فيما أقول : أو أختصر ؟ قال : بل اُخْتَصِرْ . قال أسألك إنْ خرجتَ الساعة فمررتَ بدار لبعض أصحابك تُشبه دارك

(١٧ظ) هذه أو تُقارِبها ما كنت صانعاً أو قائلاً ؟ قال : قد فهمتُ فما الرأى ؟
قال : هو رأى إنْ أخّرته عن ساعتك هذه فات . قال : وما هو ؟ قال :
لست أشك فى أنّ أمير المؤمنين قد طلبك وسأل عن خبرك فَخُبِّرَ أنك
قد ركبت إلى قصرك فضَجِرَ من تأخّرك ، فأَطِل اللَّبْثَ ها هنا ثم امضِ
إليه من فَوْرك ، وعليك أَثَرُ الغُبار ، فإذا سألك عن حالك فقل :
صِرتُ إلى القصر الذى بنيتُه للمأمون . ثم أَتبِعْ ذلك من القول بما
أنت أعلمُ به . قال : وكان جعفر قد اتخذ فى هذا القصر ثلاثمائة وستين
مَرْفِقًا ما بين مجلس ومستشرف وحُجْرة وخيش وخِزانة ، وكتب إلى
كلِّ ناحية بأن يتّخذ لكل مقصورة فَرْش على مقادير أَبنيتها . وكان
(١٨و) القول قد كثر جدًّا فى ذلك البناء وما كُتِبَ فى استعماله من الفَرْش له ،
فأقام جعفر فى القصر هُنَيْأة ثم مضى من فوره فدخل على الرشيد فسأله
عن خبرِهِ ومِن أين جاء ؟ قال : كنت فى القصر الذى اتخذتُه لمولاى
المأمون بالجانب الشرقىّ على دجلة . فقال له الرشيد : أَوَ للمأمون بَنيتَهُ ؟
فقال : نعم فإنك يا أمير المؤمنين فى ليلة ولادته شرّفتَنى بأَن جعلتَه فى
حِجْرِى قبل جَعْلِه فى حجرك واستخدمتنى له وعرفتُ مَحَلَّهُ من قلبك
فدعانى ذلك إلى أن اتخذتُ له هذا القصر بالجانب الشرقىّ ، فى موضع
معتدل الهواء ، طيّب الثّراء ، ما بين رياض زاهرة ، ومياه جارية ، بعيداً
من أصوات الناس والدّخاخين المؤذية ، والروائح المُنتِنَة ، ليُسكنه
(١٨ظ) حَواضِنَهُ وداياته ، وجواريه وقَهْرَماناته ، فيصحّ بذلك مِزاجُه ، ويتمّ

نشوؤه ، ويصفو ذهنُه ، ويذكو قلبُه ، وينمو لُبُّه ، ويُضيء فهمُه ، ويحسُن لونُهُ ، ويزيد جسمُه ، ومع ذلك فإنّى قد كتبتُ إلى النواحى جميعًا فى اتخاذ فَرْشٍ لهذا البناء على مقاديره ، وبقى شيء لم يتهيأ اتخاذه إلى الآن ، وقد عوّلنا على خزائن أمير المؤمنين ، إمّا عاريةً أو هِبَة . قال : بل هِبَة . وأَسْفَر إليه ، وأقبل وجههُ عليه ، وقال : أبى [الله] أن يُقال عنك إلا ماَ هو لك ، وأن يُطعَن فيك ، إلا بما يرفعُك ويُعليك ، ووالله لاسَكَنه أحد سِواك ولا تُمِّمَ ما يُعوِزُه من المفارش إلا من خزائننا وزال من نفس الرشيد بتلك الفعلة ما كان حَمَل عليه من السعايات ، وظفِر بالقصر وانقطعت الأقاويل عنه ، ولم يزل جعفر يتردد إليه فى كلِّ أوقات أفراحه ؛ وتنزهه ومِراحه ، إلى حين (١٩و) واقعتِهم ، وانقضاء دولتِهم ، وإلى حينئذٍ كان يسمى القصر الجعفرى .

ذكر انتقال هذا القصر وكيف صار إلى المأمون وما أضاف إليه من الأبنية

ذكر بعضهم أنَّ هذا القصر صار إلى المأمون ، وكان من أكمل القصور وأَبهاها ، وأحب المواضع إليه وأشهاها ، لإطلاله على دجلة وكماله فى النظر ، واشتماله بالروض والشجر ، واكتسائه بالنَّور المُشرق النائر ، والزهر المُونِقِ الزاهر ؛ فنزل بساحته ، وحَلَّ به حُبىْ راحتِه ، وجَرَّر على رياضه ذيولَه ، وطارَدَ فى مَيْدان سروره خيولَه ، ملتذًّا بسُكناه ، معتدًّا

بهَواه ، وصار منزل صيده وقَنَصِه ، ومَحلَّ نُزَهه وفُرَصِه ، واقتطع جُمْلة من البرِّيَّة ، فعُمِلَتْ مَيداناً لِركض الغِلمان ، واللَّعِب بالكرة والصولجان ، (١٩ظ) وحَيْراً(١) لجمع الوحوش فى أوقات تصيُّده ، وفتح له باباً شرقيًّا إلى جانب البَرِّ ، واتخذ على أعلاه مَنظرة تشرف على مَرام واسعة لِمَنْ عساه يصِلُ من طريق خُراسان(٢) ، ونَواحى همذان وأذْربيجان . وأَجرى على ذلك الباب نهراً ساقه من نهر المعلَّى ، وابتنى عليه وقريباً منه منازل برسم خاصَّته وأصحابه وحاشيته سُمِّيت المأمونيَّة(٣) وهى الآن محلَّة الشارع(٤) الأعظم فيما بين عَقَدى المُصْطَنِع(٥) والزرَّادِين(٦) .

---

(١) الحَيْر عند القدماء هو ما يسمى اليوم « حديقة الحيوانات » .

(٢) طريق خراسان فى جغرافية العراق القديمة ، هى الكورة الشرقية من وسط العراق ومنها حُلوان وبعقوبا والبندبنجين وخانقين وقصر شيرين وقصر قضاعة ودسكرة الملك وشهرابان ، وبوهرز وبرازالروز وغيرها ، وتسمى اليوم « لواء ديالى » ولم يبق من التسمية إلا نهر خريسان وهو نهر بعقوبا المعروف قديمًا بنهر جلولا .

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان : « المأمونية : منسوبة إلى المأمون أمير المؤمنين عبد الله بن هارون الرشيد وقد ذكرت سبب استحداث هذه المحلة فى (التاج) والقصر الحسنى ، وهى محلة كبيرة طويلة عريضة ببغداد بين نهر المعلى وباب الأزج عامرة آهلة » . قلت المأمونية كانت فى أرض المحلات : الدهانة والهيتاويين وعقد القشل والسريدان وصبابيغ الآل الحالية من بغداد الشرقية الحالية .

(٤) هو الشارع الكبير الذى يطرّ الجانب الشرقىّ ويعرف اليوم بعقد القشل .

(٥) عقد المصطنع ذكره ياقوت الحموى فى الكلام على « قراح » من معجم البلدان قال : « . . . وذلك أنك تخرج من رحبة جامع القصر مشرقًا حتى تتجاوز عقد المصطنع وهو باب عظيم فى وسط المدينة فهناك طريقان أحدهما يأخذ ذات اليمين إلى ناحية المأمونية وباب الأزج والآخر يأخذ ذات الشمال . . . » =

ذكر انتقال هذا القصر إلى الحسن بن سهل واشتهاره به وما زاد فيه من الأبنية

كان المأمون بخراسان مع والده ، فلما توفى والده هناك بويع المأمون (٢٠ و)
بخراسان وبويع أخوه الأمين ببغداد . وجَرت الفِتَن العظيمة إلى أن قُتل الأمين — رحمة الله عليه — .

فلما وصل البريد بخبر قتله إلى المأمون أرسل الحسنَ بن سهل خليفة له على العراق ، لتدبير الأمور بها ، فوردها بعد انقضاء فتنة الأمين فى سنة ثمان وتسعين ومائة ونزل القصر المأمونى المذكور ، وتزوّج المأمون

= والمصطنع الذى أضيف إليه العقد هو أبو نصر منصور بن طاس الديلمى ثم البغدادى الحاجب ، استحجبه الخليفة القادر بالله ولقبه المصطنع فى ذى الحجة سنة « ٤١٠ » وخلع عليه السيف والمنطقة والسوار . وكان من أرباب المروآت الظاهرة ، جميل المنظر ، حسن المحضر ، محبًّا لقضاء الحوائج ، بقى فى الحجابة إلى عهد الخليفة القائم بأمر الله ، وكان قد عمر دازاً عند العقد المذكور ، وتوفى فى جمادى الآخرة سنة « ٤٣٤ » . « تلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى ج ٥ الترجمة ٤ و ١١ » . ويعرف موضع العقد اليوم بقاضى الحاجات ، فلعل قضاءه للحاجات أبقى له هذا الاسم الكريم .

(٦) فى الأصل « الرزازين » جمع الرزّاز بائع الأرزّ وهو تصحيف « الزرّادين » أى باعة الزرديات لنوع من الدروع أو الزرد وهو الدرع المزرودة يتداخل بعضها فى بعض ، والتصحيح من معجم البلدان ، والمنتظم « ١٠ : ٢٢٩ » وكتاب الحوادث الذى سميناه الحوادث الجامعة « ص ٢٠٥ » ومنتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار لتقى الدين الفاسى « ص ٢٠٩ » . واشتهرت مقبرة الزرادين فى التاريخ وهى اليوم محلة سراج الدين بشرقى بغداد

بُوران بنت الحسن بن سهل بمرو بولاية عمّها الفضل بن سهل . فلما قدم المأمون من خراسان فى يوم السبت لأربع عشرة ليلة بقيت من صفر من سنة أربع ومائتين دخل إلى قصر الخلافة بالخُلْد بالجانب الغربى فسكنه ، وبقى
(٢٠و) الحسن بن سهل مقيما بالقصر المأمونى إلى أن عُمِل عُرس بوران بفم الصِّلح ونُقلت إلى بغداد وأُنزِلت بالقصر ، وطلبه الحسَن من المأمون فكتبه له ، ومُذ ذلك الوقت أضافَ إليه ما حوله ، وغلب اسم الحسن عليه ، وعُرف به ونسب إليه . ذكر أحمد بن أبى طاهر فى كتاب بغداد قال حدثنى بعض مشايخنا قال : لما بنى الحسن بن سهل قصره هذا جعل بين سوره وبين شط[1] دجلة فَضاءً كثيراً ، فقيل له : لو جعلته راكباً على دجلة كان أحسَن . فقال : ما أنا والنُّزْهةُ والإشراف إلى دجلة ؟ إنما يفعل هذا أهل الفراغ والبَطالة ونحن عن النزهة فى شغل . ثم ابتاع الموفق بالله هذا القصر ونزله ثم هدمه المعتضد بن الموفّق وبناه وزاد فيه
(٢١ظ) ومدّه إلى حدّ نهر بِيْن ، ونزله المكتفى .

---

(١) فى الأصل « وسط » وهو من تحريف النساخ ونظن أن الأصل « بين سوره وشط دجلة » فزاد الناسخ « بين » وصارت « وشط » بذلك وسطًا .

مُؤنِسَةُ(١) المأمونيَّـةُ

جارية روميّة ، كانت حَظيّة عند المأمون ، مقرّبة إليه وكانت تعتنى بأحمد(٢) بن يوسف وزير المأمون ، وكان هو يقومُ بخدمتها وحوائجها ، فأَدَلَّتْ على المأمون فى بعض الأمور فأَنكر عليها وصارَ إلى الشَّماسيَّة(٣) ولم يحملها معه ، فاستحضرت نُصْرَة خادم أحمد بن

(١) أخبار بغداد لأحمد بن أبى طاهر « ص ١٢٩ ، ١٣٠ » والأوراق للصولى « ١ : ٢٠٧ ، ٢٠٨ » والأغانى « ٧ : ٣٤ ، ٢٠ : ٥٧ طبعة ساسى » .

(٢) سيرته فى كتاب الأوراق للصولى « ١ : ٢٠٦ — ٢٣٦ » ومعجم الأدباء « ٢ : ١٦٠ — ١٧١ » وأخبار بغداد « ١١٢ ، ١١٨ ، ١٢٨ ، ١٢٩ ، ١٣٠ ، ١٣٢ ، ١٤٣ ، ١٦٤ ١٧٩ ، ١٨٠ » وتاريخ بغداد للخطيب « ٥١ : ٢١٦ — ٢١٨ » والبيان والتبيين « ١ : ٦٥ ، ٢ : ٣٣٠ ، ٣ : ٢٥٠ » . والتاريخ الفخرى لصفى الدين بن الطقطق « ص ١٦٩ من طبعة مصر » والأغانى « ٣ : ١٥٩ ، ٩ : ٥٨ ، ١٢ : ١٢٩ ، ١٣٤ ، ١٣ : ٣٠ ، ١٤ : ٤٣ ، ١١٦ ، ٢٠ : ٥٦ ، ٥٨ ، ١١٤ ، ١١٥ » . والوزراء والكتاب للجهشيارى « ٢٤٩ » وديوان المعانى لأبى هلال العسكرى « ١ : ٩٥ » . وتلخيص معجم الألقاب فى ترجمة « قطب الدين عبد الله بن الحسن الوكيل » . والديارات « ص ٢٩ » وهو غير أحمد بن يوسف المعروف بابن الداية .

(٣) قال ياقوت فى معجم البلدان « الشماسية : بفتح أوله وتشديد ثانيه ثم سين مهملة منسوبة إلى بعض شماسى النصارى وهى مجاورة لدار الروم فى أعلى مدينة بغداد وإليها ينسب باب الشماسية ، وفيها كانت دار معز الدولة أبى الحسين أحمد بن بويه وفرغ منها سنة (٣٥٠) وبلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف ألف درهم ، ومسناتها باق أثرها ، وباقى المحلة كله صحراء موحشة يتخطف فيها اللصوص ثياب الناس وهى أعلى من الرصافة ومحلة أبى حنيفة » . قلت : محلة الرصافة تسمى اليوم هيبة خاتون والنصة والسفينة . ومحلة أبى حنيفة هى مركز الأعظمية الحالية ، ودار الروم والشماسية هما اليوم محلة الصليخ شمالى الأعظمية .

يوسف وحَمَّلَتْه رسالة إلى مولاه بِخَبَرِها ، وسأَلته التَلطُّف فى إصلاح نيَّة المأْمون لها . فلما عَرَّفه الخادم ذلك دعا بدَوابِّهِ وقصد الشماسيّة فاستأْذن على المأْمون ، فلما وصل إليه قال : أنا رسول قال : فأذن لى فى تأْدية الرسالة . فأَنشدته هذه الأبيات وهى : (٢١ط)

قد كان عَتْبُك مَرَّةً مكتوما فاليومَ أَصبحَ ظاهرًا معلوما
نال الأَعادى سُؤْلَهم لا هُنِّئوا لمّـا رأونا ظاعِناً ومُقيما
هَبْنِى أساْتُ فَعادَةٌ لك أَنْ تُرى متجاوزًا متفضِّـلاً مظلوما

قال : قد فهمتُ الرسالةَ فـكُن الرسول بالرضا . ووَجَّه بِياسِر الخادم لحملها .

قُرَّة العَيْن مولاة المُعْتَصِم

جارية مولَّدة ، كانت حَظيّةً عند الإمام المعتصم بالله ـ رضى الله عنه ـ وروى عنها القاضى أبو بكر أحمد(١) بن كامل بن خلف بن شجرة ،

(١) ولد القاضى أبو بكر هذا ببغداد سنة « ٢٦٠ هـ » وسمع الحديث وقرأ الفقه وكان جريرى المذهب أعنى من أصحاب ابن جرير الطبرىّ كالمعافى بن زكريا النهروانى وقيل خالفه واختار لنفسه مذهباً ، وكان عالمًا بالأحكام وعلوم القرآن والنحو والشعر وأيام الناس وتواريخ أصحاب الحديث والسير ، وأملى كتاباً فى السير وروى تاريخ الطبرى عن مؤلفه ، وله مصنفات فى أكثر تلك الفنون الإسلامية ومنها كتاب التاريخ . وتولى القضاء بالكوفة ، روى عن الدارقطنى وغيره ونقل من كتبه المؤرخون كالخطيب وغيره ، وكان يعتمد على ذاكرته أحيانًا فى التحديث توفى سنة « ٣٥٠ » ، تاريخ بغداد للخطيب « ٤ : ٣٥٧ » وفهرست ابن النديم « ص ٤٨ » ومعجم الأدباء ، « ص ١٦ — ١٩ » والكامل فى حوادث سنة « ٣٥٠ » =

وكانت أديبة ، أنبأنا أبو محمد الُجنَابِذىّ(١) عن أبى بكر الحنبلى قال أخبرنا أبو غالب الكرخى إذناً عن عبيد الله بن أحمد الأزهرىّ قال حدثنا إبراهيم بن مَخْلَد قال حدثنا أحمد بن كامل قال أنشدتنا قرة العين المعتصميَّة : (٢٢و)

أُنظر إلىَّ بِعين الصفح عن زَلَلِى ... لا تَتْرُكَنِّىَ مِنْ أَمْرِى على وَجَلِ
رُوحى ورُوحُكَ مقرونان فى قَرَنٍ ... فـكيفَ أهجُرُ مَن فى هجرِهِ أَجَلِى؟

فَرِيدة(٢) الأمِينيَّة

قال أبو بكر محمد بن يحيى الصولى(٣) هى فريدة (بالياء) وهما جاريتان مغنيتان كبرى وصغرى فأمَّا الكبرى فهذه وكانت جارية

=ولسان الميزان لابن حجر العسقلانى « ١ : ٢٤٩ » وبغية الوعاة « ص١٥٣ » ، والشذرات « ٣ : ٢ » ونقل من تاريخه فى النجوم الزاهرة « ٣ : ٢٨٨ طبعة دار الكتب المصرية » ولم يعلق عليه أحد بكلمة تعرفه . وابنته أمَة السلام كانت محدثة « تاريخ بغداد ١٤ : ٤٤٣ » .

(١) منسوب إلى « جنابذ » قال ياقوت فى معجم البلدان : « جُنابذ بالضم وبعد الألف باء موحدة مكسورة وذال معجمة ناحية من نواحى نيسابور . . . » وأبو محمد هذا هو عبد العزيز بن محمود بن المبارك المعروف بابن الأخضر ، ولد سنة ٥٢٤ ببغداد وتوفى بها سنة « ٦١١ » وكان محدثًا كبيراً ومؤلفًا شهيراً ، سمع منه ياقوت الحموى وابن النجار وابن الدبيثى وغيرهم من المؤرخين ومن سواهم . ذكره ياقوت فى « جنابذ » من معجم البلدان ، وله ترجمة فى تاريخ ابن الدبيثى والتكملة للمنذرى والكامل وذيل الروضتين وتذكرة الحفاظ للذهبى وتاريخ الإسلام له وذيل طبقات الحنابلة والنجوم الزاهرة والشذرات وغيرها .

(٢) الأغانى « ٣ : ١٠٢ ، ١١٣ » .

(٣) الظاهر أن المؤلف أخذ هذا القول مما ذكره أبو الفرج الأصفهانى فى=

مولَّدة، نشأَت بالحجاز ثم وقعت إلى الربيع بن يونس حاجب الرشيد فتعلمت الغناء فى داره ثم صارت إلى البرامكة، فلما قُتل جعفر بن يحي البرمكى ونُـكِبَ البرامكة هربت فريدة المذكورة فلم يُعلَم خبرها، وطلبها الرشيد فلم يجدها ثم صارت إلى الأمين بعد موتِ الرشيد، فكانت عنده إلى أن قُتل فى المحرَّم سنة ثمانٍ وتسعين ومائة، ثم خرجت (٢٢ظ) فتزوجها الهَيْثَم بن بَسَّام[١]، فولدت له ابنه عبد الله ثم مات عنها فتزوجَها السِّنْدى[٢] بن الحَرَشى فماتَتْ عنده .

إسحق[٣] الأندلسيَّة

جارية مولّدة، كانت للمتوكل، حظية عنده، فولدت له المؤيد إبراهيم والموفق أبا أحمد، قال عبيد الله بن أحمد بن أبى طاهر : فى سنة سبعين ومائتين ماتت إسحاق أم الموفق بمدينة السلام، لإحدى عشرة ليلة بقيت من جمادى الآخرة ودفنت بالرصافة. فقال أبو أحمد يحي[٤] بن على بن يحي المنجِّم يُعزِّى الموفق بأُمِّهِ :

=أخبار أبى العتاهية « ٤ : ١٠٢ » فإنه ذكر أبياتًا لأبى العتاهية تغنى، وقال : « وفيه — يغنى الشعر — لحن لفريدة، رَمَل . هكذا قال الصولى فريدة بالياء، وغيره يقول فرندة بالنون » .

(١) فى نسخ من الأغانى « سلم » وفى نسختين أخريين « مسلم » .

(٢) الطبرى « ٣ : ٦٨٠، ٧٣٤، ٨٥٥، ٨٥٦ » .

(٣) ذكرها الطبرى فى حادثة قتل ابنها إبراهيم المؤيد فى السجن سنة «٢٥٢»

(٤) هو الأديب الشاعر المشهور ولد سنة « ٢٤١ » وتوفى سنة « ٣٠٠ »=

عَزاءً فإنَّ الدهر يُعطى ويَسْلُبُ   وصَبراً فللدنيا صروف تَقَلَّبُ
وما جازِع إلا كآخرَ صابرٍ   إذا لم يكن ممَّا قضى الله مَهرَبُ (٢٣و)
على أنَّه لا يملك القلبُ لوعةَ الـ   ـفِراق كما لا تَمْلكُ العينُ تَسكُبُ
إذا كان سهم الموتِ لا بُدَّ صائباً   فَللصَّبْرُ أولى بالكريمِ وأصوَبُ
لقد جَدَّت الدنيا بِنَفْيِ بقائِها   إلينا ولكنَّا نُغَرُّ ونَلْعَبُ
وتُخْرِبُ داراً للعِمارة خلفَها[١]   وتَعْمُرُ داراً سوف لا بُدَّ تَخْرَبُ
فلا يقدحَنْ فى عُظْمِ صَبْرِكَ عُظْمُ ما   رُزِئْتَ فصَدعِ الحزن بالصبر يُشْعَبُ
فما الناس إلا اثنانِ مَعقورُ نكبةٍ   قد انصرمَتْ أو سالم سوف يُنكَبُ
فلا زال قصرٌ بالرصافة عامراً   يُسَقَّىٰ بهِ ذيلُ السحابة يُسْحَبُ
وخُصَّ بتقديس من الله واجبٍ   يُعاديه منه مِثْلُ ما يتأوَّبُ
فإنَّ به تَقْوَىٰ وفضلاً مُبرِّزًا   وإخلاصَ صدق زانَهُنَّ التهذُّبُ (٢٣ظ)
لقد أظلمت بغداد عند وفاتها   كإظلامها للشمس ساعةَ تَغرُبُ
فَوَلَّت وولَّى الحمدُ يتبع نَعْشَها   ويَصدُق من يُثنى عليها ويَندُبُ

—— « معجم الشعراء للمرزبانى ٤٦١، ٥٠٢، ٥٠٦ » وتاريخ بغداد للخطيب « ١٤ : ٢٣٠ » والأنساب فى « المنجم » ومروج الذهب للمسعودى ومعجم الأدباء « مختصر الجزء السابع ص ٢٨٧ » والوفيات « ٢ : ٣٧٨ » والأغانى « ٨ : ٢٦؛ ٩٠ : ٣٤؛ ١٨ : ١٧٦ » وعيون الأنباء « ١ : ٢١٧ » . وله كتاب الباهر فى أخبار شعراء مخضرمى الدولتين، ابتدأ فيه ببشار بن برد، وآخر من أثبت فيه مروان بن أبى حفصة ولم يتممه فأتمه ابنه أبو الحسن أحمد بن يحيى، وله أيضا كتاب النغم وقد طبعه المجمع العلمى العراقى .

(١) هذا ما ورد فى الأصل ويتسق المعنى بأن جعل الدنيا سائرة غير لابثة فتكون الدار التى أخربتها خلفها لأن لكل سائر خلفاً .

وما ماتَ مَن أبقى الأميرَ ومَن لَهُ ... مِن الفضل ما يُعزى إليها ويُنسَبُ
تقدُّمُها إياكَ بَعدَ بُلوغها الـ ... ـمُنى فيكَ ما كانت من الله تَطْلُبُ
فقد أُعطيَتْ في ذا وذلك سُؤلَها ... وباتَتْ كما باتَ الحيا المتحلِّبُ
فأَحسِنْ عزاءً وابقَ فينا مُسَلَّماً ... مُفدًّى من الأسواء تُرجى وتُرهبُ
فإنَّ الرزايا ما تَخطَّاكَ سَهمُها ... لَيَسْهُلُ مأتاها وإن كان يصعُبُ

فَضْل[1] الشاعرة اليَماميَّة

(٢٤و) جارية الإمام المتوكل على الله — رحمة الله عليه — . كانت جارية شاعرةً ماجنة ، من أظرف أهل زمانها ، ولها أخبار مِلاح مُدوَّنة . أنبأني عبد الرحمن بن سعد الله الدقيقي عن أبي القاسم بن السمرقندي قال أخبرنا أبو منصور العُكبريّ أخبرنا أبو الحسن بن الصَّلْت قال أخبرنا أبو الفرج الأصبهاني قال : كانت فَضْل مولَّدة مِن مُولَّدات البصرة وبها نشأت ، وكان مولدَها اليمامةُ[2] .

---

(١) أخبارها وأشعارها في الأغاني « ج ١٧ ص ٤ — ٨ » و « ج ٢١ ص ١١٤ — ١٢٠ » طبعة ساسي ولها ذكر في « ٩ : ١٠٥، ١٩ : ١٣٢ » منه . وأمالي القالي « الذيل ص ٨٦ » . وطبقات الشعراء لابن المعتز « ص ٤٢٦ » طبعة دار المعارف بمصر ، والمنتظم لابن الجوزي « ٥ : ٧٠٦ » وفوات الوفيات « ٢ : ٣٤٨ » طبعة مطبعة السعادة . والمحاسن والأضداد المنسوب إلى الجاحظ « ص ١٥٢ » . وتاريخ الخلفاء للسيوطي ص ٣٦٠ طبعة الهند » وبدائع البدائه « ص ٢٩ ، ٦٠ » وسيدات البلاط العباسي « ص ٨٢ » .

(٢) هكذا ورد النصّ وهو جائز على جعل « مولدها » خبراً لكان مقدمًا ، و « اليمامة » اسمُها المؤخر .

وذكرها محمد[١] بن داود فذكر أنّها عَبْدِيَّة، وكذلك كانت تزعم هى، وتقول : إنّ أمَّها علِقت بها مِن مولًى لها من عبد القيس وإنه مات وهى حامل بها ، فباعها ابنُهُ ، فوَلَدَتْ على سبيل الرِّق . وذُكِر عنها من جهة أُخرى أنَّ أُمَّها ولدتها فِى حياة أبيها ، فرَبَّاها وأَدَّبَها ، فلما تُوفى تواطأ بنوه على بيعها فاشتراها محمد بن الفَرَج الرُّخَّجِىّ[٢] أخو عُمَر بن (٢٤ظ)
الفَرَج فأهداها إلى المتوكّل ، وكانت سَمراءَ أديبة فصيحة ، سريعة الهاجس ، مطبوعة فى قول الشعر ، متقدِّمة لسائر نِساء زمانها فيه .

وبه أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال أخبرنى محمد بن خلف حدثنا أحمد بن أبى طاهر قال : جُلِبَتْ فضل الشاعرةُ من البصرة فاشتراها رجل من النَخّاسين بعَشَرة آلاف درهم ، فابتاعها محمد بن الفرج الرُّخَّجِىّ فأَهداها إلى المتوكل ، فكانت تجلس فى مجلسه على كرسىّ تعارضُ

---

(١) يعنى محمد بن داود بن الجراح الأديب الوزير الشهير مؤلف كتاب «الورقة» فى سير الشعراء المحدثين وغيره ، وسيشير إلى هذا الكتاب فى آخر الترجمة ، والمطبوع منه بعناية دار المعارف وتحقيق الأستاذين الدكتور عبد الوهاب عزام وعبد الستار فراج خال من ترجمة « فضل » فالنسخة ناقصة ، يؤيد ذلك قولهما فى « ص ١٠ » من المقدمة : « والظاهر أن فى هذه النسخة نقصًا يدل عليه ما نجده فى كتب الأدب والتراجم من نصوص منقولة عن كتاب الورقة لا نجدها فى النسخة»

(٢) الرُّخَّجِىّ منسوب إلى « رُخَّج » قال ياقوت فى معجم البلدان : « رُخَّج مثال زُمَّج بتشديد ثانيه وآخره جيم ، تعريب رُخُّو : كورة ومدينة من نواحى كابل . . . وينسب إلى الرخَّج فَرَج وابنه عمر بن فرج وكانا من أعيان الكتاب فى أيام المأمون إلى أيام المتوكل ، شبيهًا (كذا) بالوزراء وذوى الدواوين الجليلة . . . » . ومحمد هذا أخو عمر ، وخبر الإهداء وارد فى الأغانى « ٢١ : ١١٤ » .

الشعراء بحضرته ، فألقىٰ عليها أبو دُلَف القاسم بن عيسى العِجْلى :

قالُوا عشِقتَ صَغيرةً فأَجبْتُهم   أَشْهىٰ المَطِى إلىّ ما لم يُركَبِ

(٢٥و) كم بين حَبّـةِ لؤلؤٍ مثقوبَةٍ   لُبِسَتْ وحَبّة لؤلؤٍلم تُثْقَبِ[١]

فقالت فَضْل مجيبةً له :

إنّ المطيّة لا يَلَذُّ رُكوبُها   حَتّىٰ تذلّلَ بالزّمام وتُركَبُ[٢]

والحبُّ ليس بنافعٍ أَربابَهُ   حتى يؤلَّفَ بالنظام ويُثقَبُ

وبهِ أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال حدثنى عُمَر ومحمد بن خلف وجعفر بن قدامة قالوا حدثنا أبو العَيْناء قال : لما أُدخلتْ فضل الشاعرة على المتوكّل يومَ أُهديَتْ إليهِ قال لها : أشاعرةٌ أَنْتِ ؟ قالت : كذا يزعُمُ من باعنى واشترانى[٣] . فضحِك وقال: أنشدِينا شيئاً مِن شِعرك . فأَنشدَتْهُ قولَها :

اِستقبَلَ[٤] المُلْكَ إمامُ الهُدى   عامَ ثلاثٍ وثلاثينـــا

(٢٥ظ) خـلافة أفضَتْ إلى جَعْفر   وهو ابن سبْع بعد عِشْرينا

---

(١) ورد فى المنتظم أن هذا البيت من نظم فضل ، وهو بذلك أشبه .

(٢) كذا ورد فى فوات الوفيات « ما لم تذلل بالزمان وتركب » . والصواب فى الأصل « حتى تُذلّلَ بالزمام وتُركبا » .

(٣) كذا ورد فى الأصل ، وفى المنتظم « كذا يزعم مَن باعنى ومن اشترى » وهو الصحيح لأن « مَن باع » هو غير « مَن اشترى » فينبغى تكرلو الاسم الموصول كما فى قوله تعالى ﴿يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم﴾ لأن ما بين أيديهم مبُاين لما خلفَهم ، وعلى هذا يجرى تركيب الكلام عند العرب .

(٤) استقبل الشيء : واجهه ، وأرادت بالاستقبال مباشرته الخلافة .

إنّا لَنَرجو يا إمامَ الهُدَى أنْ تملكَ المُلْكَ[١] ثمانينا
لا قَدَّس الله امرأً لم يقُلْ عند دُعاءٍ لك : آمينـــا

قال : فاستحسن الأبيات وأمرَ لها بخمسين ألف درهم .

وبهِ أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال أخبرنا محمد بن خلف بن المَرْزُبانىّ قال حدثنى أبو العباس المَرْوَزىّ قال : قال المتوكل لعلىّ بن الجَهْم « قُل بَيتاً وقُل لفضل الشاعرة تُجِزْهُ » فقال على : أَجِيزِى يا فَضل :

لاذَ بهـــا يشتكِى إليها فلم يَجِـــدْ عندها مَلاذا

فأطرقت هُنَيْأَةً ثم قالت :

ولَمْ يَزَلْ ضارعاً إليها تَهْطِل أَجفانُهُ رَذاذا (٢٦و)
فعاتَبَتهُ فـــزادَ عِشقاً فماتَ وَجْداً فكانَ ماذا ؟

فَطَرِب المتوكّل وقال: أَحسَنْتِ وحَياتى يا فضل وأمر لها بألْفَىْ درهم .

وبهِ أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال حدثنى جعفر بن قدامة حدثنى سَعيد[٢] بن حُمَيد قال : قلتُ لفضل الشاعرة أَجيزى :

---

(١) فى الأغانى « الدنيا » بدلاً من « الملك » . وكذلك مافى فوات الوفيات . وفى المنتظم « الأمر » .

(٢) ذكر أبو الحسن على المسعودىّ أن المستعين بالله العباسى قلد سعيد بن حميد ديوان الرسائل ، قال : « وكان سعيد حافظًا لما يستحسن من الأخبار ، أو يستجاد من الأشعار ، متصرفًا فى فنون العلم ، ممتعًا إذا حدث ، مفيداً إذا جولس ، وله أشعار كثيرة حسان . . . إلا أنّ سعيداً على ما وصفنا عنه من الأدب كان يتنصب ويظهر التسننّ والتحنبلُ وظهر عنه الانحراف عن أمير المؤمنين على =

مَنْ لِمُحِبٍّ أَحَبَّ فى صِغَرِهْ ؟

فقالت غير متوقّفة :

فصار أُحدوثةً عَلى كِبَرِهْ

فقلتُ :

مِن نَظَرٍ شَفَّهُ فأَرَّقَهُ

فقالت :

فكان مَبدا هَواه من نَظَرِهْ

ثم شُغِلتْ هُنَيْأَةً ثم قالت :

لولا الأمانى لماتَ مِن كَمَدٍ   مَرُّ الليالى يَزِيدُ فى فِكرِهْ(١)

(٢٦ظ) ليسَ له مُسعِدٌ يُساعِدُهُ   باللَّيل فى طولِهِ وفى قِصَرِهْ

وبِهِ أَخبرنا أبو الفرج قال قرأتُ فى بعض الكتب عن عبد الله

= ابن أبى طالب - رضى - وعن الطاهرين من أولاده ... وكان من أبناء المجوس» «مروج الذهب ج ٤ ص٩١من طبعة دار الرجاء » . وذكر عز الدين بن جماعة الكنانى بسنده أن أبا عثمان سعيد بن حميد كان من أولاد الدهاقين من أهل النهروان الأوسط وولد ببغداد ونشأ بها وكان والده من وجوه المعتزلة ثم ادعى سعيد أنه من ذرية ملوك الفرس وكان كثير الإغارة على آثار الأدباء . وألف كتاب « انتصاف العجم من العرب » ويعرف بكتاب التسوية قال : وذكر محمد بن داود من الجراح أن مذهبه فى العدول عن أهل البيت كان متعارفًا مشهوراً . «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٣٣٤٦ الورقة ١٢٠ » .

(١) فى الأصل « من الليالى تزيد فى فكره » وهو غير مستقيم . يراجع الأغانى « ١٩ : ١١٤ — ١٢٧ » والوزراء والكتاب « ٦٩ » والديارات « ٩٠٧ » .

ابن المعتز قال : قال لى إبراهيم بن المدَبِّر[١] « كانت فضل الشاعرة من أحسن خلق الله — عزَّ وجلَّ — خطًّا ، وأفصحهم كلاماً ، وأبلغهم فى مُخاطبة ، وأَبينهم فى مُحاورة ، فقلت يوماً لسعيد بن حميد : أظنك يا أبا عثمان تكتب لفضل رِقاعَها وتُفيدها[٢] وتُخَرِّجها فقد أخذتْ نحوك فى الكلام وسلكَتْ سبيلَك . فقال لى وهو يضحك : ما أَحْسَنَ ظنَّك !! لَيتها تسلَمُ منِّى : لا آخُذُ كلامها ورسائلَها ، والله يا أخى لو أخذ أفاضلُ الكتّاب وكبراؤهم وأماثلُهم عنها لما استَغْنَوا عن ذلك .

وأنشد[٣] أبو على الرازى قال أنشدتنا فضل الشاعرة لنفسها : (٢٧و)

الصَّبرُ يَنقُصُ والبَلاء يَزِيدُ   والدارُ دانيةٌ وأنتَ بعيدُ
أَشكوكَ أم أشكُو إليك فإنَّهُ   لا يستطيعُ سِواهما المجهودُ

وحدَّث أبو على نَطَّاحَة قال : خرج بعض الهاشميّين يوماً مِن مَنزل بعض إخوانه فى الليل ، فرأى امرأة ذاتَ لِباس وجَمال ، وحولَها

(١) قال شمس الدين الذهبى فى المشتبه — ص ٤٧٢ — : « المدبر بفتح الموحدة أبو إسحاق إبراهيم بن المدبِّر الأخبارى يحكى عنه جحظة » . وسيرته مشهورة فى كتب الأدب والتاريخ ، وله الرسالة العذراء فى الإنشاء ومذاهب الكتاب ، طبعها الدكتور زكى مبارك بمصر سنة ١٩٣١ ، وقد استوزره المعتمد على الله . توفى سنة ٢٧٩ « معجم الأدباء ١ : ٢٩٢ » وتاريخ الطبرى فى حوادث سنة ٢٧٩ .

(٢) فى الأصل « وتُقيدّها » وهو غير مستقيم ولا متسق ، والصواب ما ذكرناه .

(٣) هكذا ورد فى الأصل ولعله « وحدَّث أبو على . . . »

نِسوة قد حَفَفْنَ بها ، وهى فى وَسَطِهِنَّ . فقال :

إنَّ أخا الظَّلماء مُسْتَرابُ

وأسمع النسوةَ فأجابته التى حَفَفْنَ بها فى أسرَعَ مِن نَفَسٍ :

إلا مُحِبًّا شاقَهُ الأحبابُ

فسأل عن المرأة فإذا هى فضل الشاعرة . ذكر محمد بن داود بن الجراح فى كتاب الورقة[١] فى أخبار الشعراء[٢] المحدثين قال : فضل

(٢٧ ط) الشاعرة العَبْدِيَّة مولاة المتوكل أشعر امرأة كانت فى هذا العصر ومن قولها فى السَّحَر :

قد بدا شِبْهُك يا مَو   لاىَ يحدو بالظلامِ
فانتبـه نَقض لُبانا   تِ اغتباق والتثامِ
قبل أن تفضَحَنا عَو   دَةُ أَرواحِ النيـامِ

ذكر بعض المؤرخين أنَّ فَضْلَ الشاعرة تُوفيت سنة سبع وخمسين ومائتين .

(١) لم يرد هذا الخبر فى المطبوع من كتاب « الورقة » ولا الذى ذكره فى أول سيرة « فضل » كما أشرنا إليه آنفًا .

(٢) فى الأصل « شعراء المحدثين » وهو غلط من ناسخ غير عربىّ .

بَنان[1] جارية المتوكل

كانت شاعرة ، ذكرها أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى فى كتاب الأغانى ، أنبأنى عبد الرحمن الطحَّان عن أبى القاسم بن السمرقندى قال أخبرنا أبو منصور العُكْبَرى قال أخبرنا أبو الحسن بن (٢٨و) الصَّلت قال أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال أخبرنى جعفر بن قدامة حدثنى يحي بن على المنجّم قال حدثنى الفضل بن العباس الهاشمى قال حدثتنى بنان الشاعرة قالت : خرج المتوكل يوماً يمشى فى صحن القصر ، وهو متوكئ على يَدِى ويدِ فضل الشاعرة فمشى شيئاً ثم أنشد قول الشاعر :

تعلَّمتُ أسبابَ الرِّضا خَوْفَ هجرِها ... وعَلَّمها حُبِّى لها كيف تَعْتُبُ

ثم قال : أَجيزى هذا البيت ، فقالت فضل :

يَصُدُّ وأَدنو بالمودة جاهداً ... وَيَبْعُدُ عنّى بالوصالِ وأَقرُبُ

فقلت :

وعندى له العُتْبىٰ على كلِّ حالةٍ ... فما مِنه لى بُدٌّ ولا عنه مَهربُ

(١) ضبط الذهبى بالقلم كل « بُنان » للرجال بضم الباء الموحدة ولا نظن الجارية سميت إلا بالبنان الذى هو أطراف الأصابع ، وأخبار « بنان » هذه فى الأغانى كما أشار إليه المؤلف ونقل منه « ٨ : ١٧ ، ٢٠ » و « ١١ : ٢ » و « ٢١ : ١١٦ — ١٢٠ » .

مَحْبُوبَة[1] جارية الإمام المتوكّل

ذكرها صاحب كتاب الأغانى . أخبرنى عبد الرحمن بن سعد الله الواسطى إِذْناً عن أبى القاسم بن السمرقندى قال أخبرنى أبو منصور العُكْبَرى أخبرنا أبو الحسن بن الصلت أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال : محبوبةُ جارية المتوكل كانت مولّدة. شاعرة مغنية مُقدَّمة فى الحالتين على طبقتها ، وكانت حسنة الوجه والغِناء ، أهداها عبيد الله بن طاهر للمتوكل على الله لما وُلّى الخلافة فى جُملة أربعمائة[2] جارية قِيانٍ وسَواذِج[3] ، فتقدمتهنّ جميعاً عنده .

وبهِ أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى قال حدثنى جعفر بن قدمة حدثنى ابن خُرداذبه قال حدثنى على بن الجهم قال : كنتُ يوماً بحضرة المتوكل (٢٩و) وهو يشربُ ونحن بين يدَيه إذ دَفَع إلى محبوبة تُفّاحةً مُغَلَّفَةً بغالية

(١) أخبارها فى الأغانى « ١٩ ، ١٣٢ — ٤ » . ومروج الذهب « ٤ : ٧٣ طبعة دار الرجاء » وتاريخ الخلفاء للسيوطى « ص ٣٥٧، ٣٦٠ طبعة الهند » وألف ليلة وليلة « ٢ : ٣٠٤ طبعة مطبعة التقدم » ووفيات الأعيان « نشرة وستنفلد المستشرق الألمانى فى الترجمة ١٣٣ وهى ترجمة أبى الفضل جعفر المتوكل على الله ».

(٢) فى المروج « وأهدى إليه ابن طاهر هدية فيهامائتا وصيف ووصيفة » وفى ألف ليلة وليلة « وقد أهدى عبيد الله بن طاهر إلى المتوكل أربعمائة جارية : مائتان بيض ومائتان حبش ومولدات » .

(٣) السَّواذج جمع الساذجة وهى الجارية التى لم تدرب على الغناء ولا على الضرب على آلاته .

فقلَّبتْها(١) وانصرفَتْ عن حضرته ثم خرجَتْ جاريةٌ لها ومعها رُقْعة ، فدفَعَتْها إلى المتوكل فقرأها وضحك ثم رمى الرقعةَ إلينا فقرأناها فإذا فيها:

يا طِيبَ(٢) تُفَّاحَةٍ خَلَوْتُ بها ... تُشْعِلُ نار الهَوَىٰ على كبِدِي

أَبكى إليها فأَشْتَكى دَنَفِي ... وما أُلاقى مِن شدَّةِ الكمَدِ

لو أنَّ تُفَّاحةً بكَتْ لبكَتْ ... مِن رَحْمتى(٣) هذه التى بيَدِى

إنْ كنتِ لا تعلمين ما لَقِيَتْ ... نفسى فمِصداقُ ذاكِ فى جَسَدى

فإنْ تأَمَّلتِهِ علمتِ بأَنْ ... ليسَ لِخَلْقٍ عَلَيْهِ مِن جَلَدِ

(٢٩ط) قال : فما بقى والله أحدٌ إلا استظرفها واستملحَ الأبياتَ وأَمرَ المتوكل عَرِيبَ وشاريةَ(٤) فصَنَعَتا فى الشِّعْرِ لحنَيْنِ(٥) غُنِّىَ بهما باقىَ يومِه .

---

(١) هكذا ورد الفعل ، ويجوز أن يكون أصله « فقبَّلتها » كأنها فعلت ذلك احترامًا لمهديها .

(٢) قال ابن هشام فى المغنى : وإذا ولى (يا) ما ليسَ بمنادى كالفعل فى (ألايا اسجدوا) . . . والحرف نحو (يا ليتنى كنت معهم فأفوز) ،(يا رُبَّ كاسية فى الدنيا عارية يوم القيامة) والجملة الاسمية كقوله : يا لعنة الله والأقوام كلهم . . . فقيل هى للنداء والمنادى محذوف ، وقيل هى لمجرد التنبيه لئلا يلزم الإجحاف بحذف الجملة كلها . . . » .

(٣) هكذا فى الأصل « من رحمتى » وهو من إضافة المصدر إلى مفعوله.

(٤) من شهيرات الجوارى وكبيرات الملحنات والمغنيات ، لها ذكر فى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة « ٢٣٢ » وسنة « ٢٥٦ » ، وأخبارها فى الأغانى « ٣ : ١٢١ ، ١٧٧ ، ٩ : ٣٤ ، ٤٦ ، ٥٥ ، ٦٧ ، ٦٩ ، ١٤ : ٩٨ ، ١٠٥ — ١١٠ طبعة ساسى » والديارات للشابشتى « ص ٦٥ ، ٧١ ، ٧٢ ، ٩٩ » . ولها ترجمة فى الوافى بالوفيات « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٦٥ الورقة ١٣١ » .

(٥) فى الأصل « بحتن » والذى أثبتناه هو الصواب .

وبهِ قال : حدثنا جعفر بن قدامة حدثنى على بن يحيي المنجّم قال : قال المتوكل لعلى بن الجهم — وكان يَأنَسُ بهِ ولا يكتُمُهُ شيئاً مِن أمرِه — : يا عليّ إنّى دخلتُ إلى قَبِيحَةَ[1] الشاعرة فوجدتُها قد كتبت اسمى على خَدِّها بغاليةٍ ، فواللهِ ما رأيتُ شيئاً أحسَنَ مِن سَواد تلك الغالية على بياضِ ذلك الخدّ، فقُل فى هذا شيئًا . وكانت مَحبوبةُ جالسةً مِن وراء السِّتارة تسمع الكلام ، فإلى أن دُعى لِعلى بالدَّواة والدَّرْج وأخذ يفكِّر قالت على البَديهة :

(٣٠و) وكاتبةٍ بالمِسك فى الخد جَعْفرا ... بنفسِى مَخَطُّ المسكِ مِن حيث أثَّرا
لَئِنْ كتبَتْ فى الخدِّ سطراً بكفِّها[2] ... لقد أودعَتْ قلبى من الحب[3] أسْطُرا

---

(١) من جوارى المتوكل المشهورات بالجمال وهى رومية الأصل ، وإنما سميت قبيحة من باب المضادة فى التسمية خوفًا عليها من إصابة العين ، وقد ولدت للمتوكل فيمن ولدت ابنين هما المعتز بالله وأخوه إسماعيل ، ولها فى كتب الأدب أخبار مليحة ، وفى تاريخ العراق السياسى أنباء خطيرة ، توفيت بسامرا بعد عمر حافل بالأحداث والحوادث سنة ٢٦٤ هـ ويظهر لنا أن المؤلف ذكرها فى كتابه « أخبار من أدركت خلافته ولدها من جهات الخلفاء ذوات المعروف والعطاء » . المذكور فى أول هذا الكتاب ، وأخبارها فى الأغانى « ٩ : ١٠٥ ، ١٠٦ ، ١١٣ ، ١٢ : ١٥٩ ، ١٧ : ١٣٠ ، ١٩ : ١٣٢ ، ٢١ : ١١٩ طبعة ساسى » . وتاريخ الطبرى فى مواضع . والديارات للشابشتى « ص ٩٨ ، ١٠٨ ، ١٠٩ » والمنتظم « ٥ : ٤٨ » . وتاريخ الخلفاء للسيوطى « ص ٢٥٦ » وسيدات البلاط العباسى « ٧٠ — ٨١ » . وعيون الأنباء فى طبقات الأطباء « ١ : ١٧١ » وغير ذلك .

(٢) فى مروج الذهب « لئن أودعَتْ خطًّا من المسك خدّها » . « ج ٤ ص ٧٤ » . وفى تاريخ الخلفاء « لئن أودعت سطراً من المسك خدّها » .

(٣) فى المروج « الوجد » .

فيا مَن لمملوكٍ لِمَالْكِ يمينِهِ مُطيع له فيما أَسَرَّ وأَظهَرا[١]
ويا مَن مُناها فى السَّريرة جعفر سَقى الله من سُقيا ثناياك جَعْفَرا[٢]

قال : وبقى على بن الجهم واجمًا لا ينطِقُ بحرف ، وأمَرَ المتوكل عَريبَ فغنَّت فى هذا الشعر .

وبهِ حدثنا جعفر بن قدامة قال حدثنى مولاى عن على بن الجهم قال : غاضَبَ المتوكلُ محبوبة فاشتدَّ عليه بُعدها عنه ثم صالحه بَعد ذلك[٣] ثم جئتُه يومًا فحدثنى أنه رأى فى النوم أنَّها قد صالَحَتْهُ ، ودعا بخادم له فقال : اذهبْ فاعرفْ لى خَبَرَها وأىَّ شىءٍ تصنَعُ ؟ فرجع (٣٠ظ) فأعلمه أنَّها جالسة تغنِّى . فقال لى : أما ترى إلى هذه تَغَنِّى وأنا عليها

(١) فى المروج : فيامَن لمملوكٍ يَظَلُّ مليكه مطيعًا له فيما أسر وأجهَرا
(٢) فى المروج :
ويا من لعينى من رأى مثل جعفر سقى الله صوب المستهلات جعفرا
(٣) هكذا ورد النص وفيه اضطراب فى الإسناد والسياق والقصّة مفصلة فى مروج الذهب « ٤ : ٧٤ — ٥ » باتساق وحُسن انسياق . قال ابن الجهم : ودخلت إليه أيضًا لأنادمه فقال لى : ويلك يا على ، علمت أنىّ غاضبت محبوبة وأمرتها بلزوم مقصورتها ونهيت الحشم عن الدخول إليها وأنفت من كلامها ، فقلت : يا سيدى إن كنت غاضبتها اليوم فصالحها غداً ويديم الله سرور أمير المؤمنين ويمُدُّ فى عمره . . . » .
وفى تاريخ الخلفاء للسيوطى « عن على بن الجهم قال : أهدى إلى المتوكل جاربة يُقال لها محبوبة . . ثم إنه غضب عليها ومنع جوارى القصر من كلامها ، فدخَلْتُ عليه يومًا فقال لى : قد رأيتُ محبوبة فى منامى كأنى قد صالحتها وصالحتنى فقلت : خيراً يا أمير المؤمنين . فقال : قم لننظر ما هى عليه . . . » وهكذا نجد القصة والشعر فى اختلاف وتغاير .

غَضبان . ثم قال لى : قم معى حتى نسمع بأى شئ تغنِّى ؟ فقمنا حتى انتهينا إلى حُجرتها فإذا هى تُغَنِّى :

أَدُورُ فى القصر لا أرى أحدًا   أَشكو إليه ولا يُكلِّمُنى
حَتى كأنى ركبتُ مَعْصِيةً   لَيسَتْ لها تَوبةٌ تُخَلِّصُنى
فهَل لنا شافع إلى مَلِكٍ[1]   قد زارنى فى الكَرَى فصالحنى
حتى إذا ما الصباحُ لاحَ[2] لنا   عادَ إلى هجرِهِ فصارَمَنى

قال : فَطرِب المتوكلُ وأحسَّتْ به فخرجَتْ إليه ، وخَرَجنا نتبادر. (٣١و) فأعلمَتْهُ أنها رأتهُ فى النوم وقد جاءها فصالحها فقالت هذا الشِّعر وغَنَّتْ به . فأَطرَب ذلك المتوكّل ، وأقام يشربُ مَعَها ، وخرجَتْ إلينا جوائزها .

وبه قال : حدثنا على بن يحيى أن جَوارِىَ[3] المتوكل تفرَّقْنَ بعد موتِهِ فصار إلى وصيفٍ عدَّةٌ مِنهُنَّ فيهنَّ مَحْبُوبة[4] ، واصطبح يومًا وأمر

(١) فى المروج « فمن شفيع لنا إلى ملك » وفى تاريخ الخلفاء « فهل شفيع لنا إلى ملك » .

(٢) فى المروج « عاد » .

(٣) قال المسعودى والسيوطى بعده « ويقال إن المتوكل كان له أربعة آلاف سُرِّية ، وطئهُنَّ كُلَّهُنَّ » .

(٤) فى المروج « ضمت هى وكثير من الرصائف إلى بغا الكبير وفى تاريخ الخلفاء « وكان من حظاياه وصيفة تسمى محبوبة شاعرة عالمة بصنوف العلم ، عوّادة فلما قتل ضمت إلى بغا الكبير . . . » فالظاهر أنَّ هذا هو الخبر الراجح . لولا أن مؤلف هذا الكتاب سيذكر كيفية انتقالها إلى بُغا .

بإحضارِ جَوارى المتوكل ، فأُحضِرنَ وعليهِنَّ الثيابُ الفاخرة الملوَّنة والحُلِيُّ وقد تَزَيَّنّ وتَعطَّرْن، سوى محبوبة فإنها جاءت مَرْهاءَ[١] مُتَسلِّبة[٢] عليها ثياب بياض غير فاخرة ، فَغَنَّى الجوارى وطَرِبْنَ وشرِبْنَ وطَرِبَ ثم قال لمحبوبة : غَنِّى . فأخَذَت العُودَ وغَنَّتْ وهى تَبكى :

أَىُّ عيشٍ يَطيبُ لى[٣] — لا أَرى فيه جَعْفرا
مَلِكاً قد رأتهُ عيــــنى قتيلاً مُعَفَّرا[٤]
كُلُّ مَنْ كانَ ذا سَقا — مٍ وحُزْنٍ فقد بَرا[٥] (٣١ظ)
غــــير محبوبةَ الَّتى — لو تَرى الموتَ يُشْترَى

(١) يُقال : مَرِهَتْ عينُها تَمرَهُ مَرَهاً : ابيضت بواطن أجفانها لترك الكُحْل فهى مَرْهاء وقيل للمرأة « مرْهاء » على سبيل المجاز .

(٢) تسلَّبَتْ : لبست السلاب وهى ثياب المأتم السود فى الأصل كالحداد ، ولكن محبوبة لم تلبس ثياباً سُوداً بل كان عليها ثياب بيض وهى لباس الحزن عند بنى العباس بما كان من اختيارهم السَّواد للباسهم المعتاد . « راجع المنتظم ٨ : ٢٩٢ » ففيه أن المقتدى لما جلس بعد البيعة كان عليه قميص أبيض وعمامة لطيفة بيضاء وطرحة قصب دُرّية . وكانوا يلبسون البياض أيام الحزن ثم يعودون إلى لبس السواد . وقلدهم أهل الأندلس فى اتخاذ البياض للحزن قال على بن عبد العزيز الحصرى :

إذا كان البياض لباس حزن — بأندلس وذاك من الصواب
ألم ترنى لبست بياض شيبى — لأنى قد حزنتُ على شبابى

الذخيرة « ٢ : ٣٧ » والوفيات « ١ : ٣٧٢ » .

(٣) فى المروج وتاريخ الخلفاء « يلذُّ لى »

(٤) فيهما « ملك قد رأيته — فى نجيع مُعفَّرا » .

(٥) فى المروج « كل من كان ذا خبال وسقم فقد برا » . وفى تاريخ الخلفاء « كل من كان ذا هيام وسقم فقد برا » .

لاشـــترتهُ بِمَلِـكِها لتُوارى وتُقْـــبَرا(١)
إنَّ موتَ الحزين أَطْـــيَبُ مِن أنْ يُعَمَّرا

قال : فاشتد ذلك على وَصيفٍ وهَمَّ بقتلها فاستوهبها منه بُغا ، وكان حاضراً ، فوهبها له وأَعتقها وأمرها بأن تُقيم حيث أَحَبَّتْ ، فخرجت إلى بغداد فأقامتْ بها . وأَخْمَلَتْ نفسَها حتى ماتت حَزينة — رحِمها الله تعالى ، وجزاها عن حُسن العهد وحفظ الوِداد والوفاء خيراً — .

ناشِبُ المُتوَكِّلِيَّة

(٣٢و) كانت من المغنّيات المذكورات بالحِذْق وجَوْدة الصَّنْعَة . روى عنها القاضى أبو بكر أحمد(٢) بن كامل بن خلف بن شجرة . قرأتُ على الحافظ أبى عبد الله البغدادى(٣) .

---

(١) فيهما « لاشترته بما حوتها يداها لتُقبرا » .

(٢) تقدم ذكره فى « ص ٨٠ » .

(٣) هو محب الدين أبو عبد الله محمد بن محمود بن الحسن بن هبة الله المعروف بابن النجار الحافظ ، أحد كبار المؤرخين والمؤلفين والمحدثين ، قال ابن الفوطى : « كان من الحفاظ المكثرين ، والعلماء المشهورين ، والفضلاء المذكورين ، سافر الكثير فى طلب العلم شرقاً وغرباً . . . وسمع فى كل بلد دخله وقرية نزلها ، وصنف الذيل على تاريخ الخطيب . وله غير ذلك من الكتب والمجاميع ، وله مشيخة تحتوى على ألف شيخ . ومولده فى ذى القعدة سنة ٥٧٨ . وتوفى فى خامس شعبان سنة ٦٤٣ ودفن بباب حرب » . « تلخيص معجم الألقاب ، ج ٥ الترجمة ٧٠٧ طبعة لاهور فى باكستان » . وله ترجمة فى الكتاب الذى سميناه « الحوادث الجامعة ص ٢٠٥ استرجاحاً » فظهر أنه غيره . وفى طبقات الشافعية الكبرى للسبكى=

قال أخبرنا عيسى[1] بن عبد العزيز اللَّخْمِى بالقاهرة ، أخبرنا أحمد بن محمد الأصبهانى [السِّلَفى] أخبرنا المبارك بن عبد الجبار الصيرفى أخبرنا أبو يعلى أحمد[2] بن عبدالواحد العدل أخبرنا أبو الفرج المُعافىٰ بن زكريا الجَريرى قال حدثنا أحمد بن كامل قال : سمعتُ ناشبَ المتوكلّية تُـغَنِّى لإبراهيم بن المهدى :

أنتَ امرؤ مُتَجنٍّ ولَستَ بالغَضْبانِ
هَبْنى أسأتُ فهلَّا مَنَنْتَ بالغُفــرانِ

=« ٥ : ٤١ » وفوات الوفيات « ٢ : ٢٦٤ » والشذرات « ٥ : ٢٢٦ » وله ذكر فى النجوم الزاهرة « ٦ : ٣٥٥ » وقد جاء فيه لقبه « مجد الدين » بدلاً من محب الدين» وهو من خطأ النسخ وعدم التصحيح فى الطبع . وله ترجمة حسنة فى « منتقى المعجم الكبير الذى لشمس الدين الذهبى، انتقاء تقى الدين ابن قاضى شهبة» « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢٠٧٦ الورقة ١٤٧ » .

(١) ذكره شمس الدين محمد بن محمد بن الجزرى فى « غاية النهاية فى طبقات القراء » ج ١ ص ٦٠٩ وتمام اسمه « موفق الدين أبو القاسم عيسى بن عبد العزيز بن عيسى بن عبد الواحد اللخمى الشريشى الأصل ثم الإسكندرى المالكى المقرئ ، ذكر أنه كان إمامًا فى قراءات القرآن ، ولكنه خلط كثيراً وأتى بشيوخ لا يعرفون فاتّهم بالكذب وألف كتابًا فى القراءات سماه « الجامع الأكبر » قال ابن الجزرى : « لم يجمع مثله فى هذا الفنّ فإنه لم يترك من القراءات شيئاً قلَّ ولا جلَّ إلا نادراً . من رآه رأى العجب » . توفى فى جمادى الآخرة سنة ٦٢٩ بالإسكندرية « غاية النهاية ١ : ٦٠٩ — ٦١١ » والشذرات « ٥ : ١٣٢ » وله ذكر فى النجوم الزاهرة « ٦ : ٢٧٩ » . وذكره جمال الدين بن الصابونى فى « تكملة إكمال الإكمال ، ص ٢١٦ من طبعة المجمع العلمى العراقى وتعليق ناشر هذا الكتاب » . (٢) فى الأصل «ابن أحمد» . راجع تاريخ الخطيب « ٤ : ٢٧٠ » .

فاطمة بنت الفَتْح بن خاقان

(٣٢ ط) كانت زوجة الإمام المُعْتز ّ بالله محمد بن المتوكل ، ماتت سنة سبع وسبعين ومائتين ، ذكر ذلك أبو طاهر الكَرْخى[1]

فريدة[2] زوجة المُتَوكِّل

وهى الصغرى

ذكرها الصُّولى فقال : فَرِيدة (بالياء) كانت جارية مُغَنِّيَة مُحسِنَة ، ذكرها أبو الفرج الأصبهانى فى كتاب الأغانى ونَسب إليها الصنعة فى

---

(١) هو أحمد بن الحسن بن محمد بن خداداذ الباقلاوى ، ولد ببغداد ونشأ فيها ، وعُنى بالحديث فسمع من أبى على بن شاذان ، وأبى القاسم بن بشران ، وأبى بكر البرقانى وغيرهم ، وكان ثقة فى الحديث ضابطًا ، جميل الخصال ، مقبلاً على ما يعنيه ، زاهداً فى الدنيا ، حدث عنه عبد الوهاب الأنماطى ، وكان يتشاغل يوم الجمعة بالتعبد ، ويقول لأصحاب الحديث « من السبت إلى الخميس ، ويوم الجمعة أنا بحكم نفسى للتبكير للصلاة وقراءة القرآن . وما قرئ عليه فى الجامع حديث قط ، توفى سنة ٤٨٩ ودفن بمقبرة باب حرب ، ترجمه ابن الجوزى فى المنتظم ٩ : ٩٨ ولم يذكر له تاريخًا إلا أنّ بعض المؤرخين غير ابن الساعى المؤلف ، نقل من تاريخه « راجع التاريخ المجدد لمدينة السلام لابن النجار ، نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق « التاريخ وملحقاته ٤٢ الورقة ٥ ، ٢٢ ، ٢٠ ، ١٢٩ ، ١٥٢ و« نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣١ الورقة ٤٧ ، ٨٢ » ونقل منه ابن الفوطى بوساطة تاريخ ابن النجار « تلخيص معجم الألقاب ، نسخة المكتبة الظاهرية فى « علم السنة عتيق بن عبدالله البكرى » . (الورقة ٦٤) .

(٢) الأغانى « ٣ : ١٧١ — ٥٢٨ : ٩١ ، ٨ ١٦٠ ، ١٤ : ١٠٨ ، ١٧ : ١٣٧ » .

صوت لأبى العتاهية وهى قوله :

يَا وَيحَ قلبِي لَوَ أَنَّهُ أَقْصَرْ ... ما كان عيشى كما أرى أكْدَرْ
فَمَن عَذِيرِى مِمَّنْ كَلِفْتُ بِهِ ... يَشْهَدَ قلبِي بأَنَّهُ يَسْحَرْ
يا رُبَّ يومٍ رَأيتُنى كَلِفاً ... أَخوضُ فى اللَّهو مُسْبِلَ المِئزرْ
بَيْنَ نَدامَىٰ تَحُثُّ كأسَهُمُ ... عَلَيْهِمُ كَفُّ شادِنٍ أَحْوَرْ (٣٣و)

كانت عند الإمام الواثق ، وكانت حظيَّةً عِنده ، مُقَرَّبة لدَيْه ، وكانت على مِلْكِ عَمْرو بن بانَة المُغنِّى . فلما ماتَ الواثق بالله وبُويع أخوه الإمام المتوكّل على الله أهداها له ، فتزوَّجَها وحَظِيَتْ عنده . وقيل بل أهداها مولاها عَمْرو المذكور للواثق ، ثم صارت إلى المتوكّل فتزوَّجَها .

نَبْت[1] جارية الإمام المعتمد

ذكرها أبو الفرج على بن الحسين الأصبهانى فى كتاب الأغانى فقال: كانت مغنيةً حَسَنَةَ الغناء ، شاعرة سريعة الهاجس وقال : ذكر أحمد[2]

(١) الأغانى « ١٩ : ١١٦ ، ١١٧ ، ١٢٠ طبعة ساسى » .

(٢) هو أحمد بن محمد بن مروان المعروف بابن الطيب وبابن الفُرانِق ، قال ياقوت : « أحد العلماء الفُهماء ، المحصلين ، الفصحاء البلغاء ، المتقنين . له فى علم الأثر الباع الوَساع ، وفى علوم الحكماء الذهن الثاقب الوقاد وبسطة فى الذراع ، وهو تلميذ الكندى وله فى كل فنّ تصانيف ، ومجاميع وتواليف ، وكان أحد ندماء أبى العباس المعتضد بالله والمختصّين به . فأنكر منه بعض شأنه=

ابن الطيِّب عن بعض الـكُتّاب أنها عُرضَت على الإمام المعتمد على الله ، فامتحنها فى الغناء والـكتابة ، فرضىَ بما ظهر له مِن أمرها ، ثم قال لابن حمدُون : قارِضْها . فقال : (٢٣ظ)

وَهَبْتُ نفسى للهَوىٰ

فقالَتْ غير متوقفة :

فجارَ لمّا أَنْ مَلَكْ

فقال :

فصرتُ عبدًا خاضِعاً

فقالت :

يَسْلُكُ بى حيثُ سَلَكْ

فأمر المعتمد بشرائها ، فاُبْتِيعَتْ بثلاثين ألف درهم .

وأنبأنى عبد الرحمن بن سعد الله الدَّقيقى عن أبى القاسم بن السمرقندى عن أبى منصور العُكْبَرىّ قال أخبرنا أبو الحسن بن الصَّلت قال أخبرنا أبو الفرج الأصبهانى عن جعفر بن قدامة قال حدثنى أحمد بن أبى طاهر

= فأذاقه حمامه صبراً وجعله نكالاً . ولم يرع له ذمة ولا إلا . . . » وذكر أنه ولى الحسبة وسوق الرقيق سنة ٢٨٢ وفى يوم الاثنين لخمس خلون من جمادى الأولى سنة ٢٨٣ غضب المعتضد عليه فأمر بضربه مائة سوط ونقله إلى سجن المطبق ، وفى صفر سنة ٢٨٦ مات ، ذكر ذلك ياقوت بعد أن قال « فأذاقه حمامه صبراً » ونقل ياقوت أن ابن الطيب دعا المعتضد إلى الإلحاد فآل أمره إلى الهلاك « معجم الأدباء ١ : ١٥٨ طبعة مرغليوث الأولى » وفهرست ابن النديم « ص ٣٦٥ » والمنتظم « ٥ : ١٢٤ » وغيرها .

قال : دخلتُ يوماً على نَبْت جارية مخفرانة المُخَنَّث وكانت حسنة الوجه والغناء، فقلت لها : « قد قلتُ مِصراعاً فأَجيزيه » فقالت : قل . فقلت : (٣٤و)

يا نَبْتُ حُسْنُكِ يُعشى بَهْجَةَ القمر

فقالت :

قد كاد حُسْنُك أن يبتزَّنى بَصَرِى

فتوقفتُ أفكّر ، فسبقتنى فقالت :

وطيبُ نَشرِكِ مثلُ المِسك قد نَسَمَتْ رَيَّا الرياضِ عليه فى دُجى السَّحَرِ

فزادَتْ فِكرَتى ، وبادرتنى[1] فقالت :

فهل لنا فيكِ حظٌّ من مُواصلةٍ أولا فإنِّىَ رَاضٍ منكِ بالنظرِ

فقُمتُ عنها خَجِلاً ثم عُرِضَتْ بعد ذلك على الإمام المعتمد على الله ، فاشتراها بِمَشُورة على بن يحيى المنجِّم بثلاثين ألف درهم .

خَلَّافَةُ أُم ولد المعتمد ومَوْلاته

كانت حظّيّةً عنده ، جليلة القدر ، كان لها جارية اسمُها مُنْيَةُ (٣٤ظ) الكاتبة. ذكرها أبو بكر أحمد بن ثابت الخطيب فى تاريخه وقال: حَدَّثَتْ[2]

(١) فى الأصل « وبارزتنى » ولا يناسب المقام ولا له معه التآم .

(٢) يعنى « مُنية » لا خلّافة ، ونصّ قوله « منية الكاتبة : جارية خلّافة أم ولد المعتمد على الله ، حدثت عن أبى الطيب محمد بن إسحاق بن يحيى الوشاء . روى عنها عبيد الله بن الحسين بن عبد الله البزاز الأنبارى » . « ج ١٤ ص ٤٤١ »

عن أبي الطيب محمد بن إسحق بن يحيي الوَشَّاء، روى عنها عبيد الله ابن الحسين بن عبد الله البَزاز الأنبارى .

ضِرار والدة الإمام المُعْتضد

كانت جارية الإمام الموفَّق[١] بن الإمام المتوكل على الله ، حَظّيّةً عنده ، ولدت له الإمام المعتضد بالله ، وكان اسمُها قبل ذلك « خَفِير » ، وكانت كثيرة البر لمواليها ، ذكرها أحمد بن أبي طاهر فى تاريخه[٢] وقال : ماتَتْ فى آخر جمادى الأولى من سنة ثمان وتسعين ومائتين ودُفِنَتْ بتُرَب الرُّصافة . قلت : ولم تُدرك خلافة ولدها بل تُوفيت قبلَه بستة أيام ، فلهذا لم أذكرها فى كتاب « أخبارمَن أدركت خلافة (٣٥ و) ولدها من جهات الخلفاء ذوات المعروف والعطاء » .

قَطْرُ[٣] النَّدى بنت خُمارَوَيْهِ

ابن أحمد بن طولون

وتسمَّى « أَسماء » . تزوَّجها الإمام المعتضد بالله وهى عند أبيها بمصر ، ووصلَتْ إلى بغداد فى شهر ربيع الآخر من سنة اثنتين وثمانين

(١) لم يكن الموفق طلحة بن المتوكل إماماً أى خليفة بل كان ولى عهد ، فإن صح أن هذا قول المؤلف فهو خطأ . ولعل الأصل « الأمير » .
(٢) لا ذكر لها فى المطبوع منه المعروف بأخبار بغداد .
(٣) أخبارها فى تاريخ الطبرى كما فى حوادث سنة « ٢٨٧ » ، ومروج=

ومائتين ، وزُفَّت إليه وكانَ معها مِن الجِهاز ما لا يكادَ أنْ يُوجَدَ مثلُهُ في خزائن ملوك الأرض ، وكانت من أعقلِ النساء وأرْأَسِهنَّ .

أَنبأني أبو القاسم علي[١] بن عبد الرحمن بن علي عن أحمد بن المقَرَّب عن أبي علي البَرداني قال : حدثني أخي أبو غالب يوسف بن محمد قال : سمعت أبي يقول يوماً وقد جرى ذكر الحرَّةِ بنت أحمد بن طولون زوجة المعتضد بالله : إنَّ المعتضد قال لها يوماً : « بِمَ تشكرين الله إذ جعل أمير (٣٥ ط) المؤمنين زوجك؟ » فقالت : « بما يشكر به أمير المؤمنين إذ جعل أحمد بن طولون من رعيَّتِهِ » .

ذكر محمد[٢] بن جرير الطبري أن قطر الندى بقيت عند الإمام المعتضد بالله إلى أن توفِّيت عنده في السابع من رجب سنة سبع وثمانين ومائتين ، ودُفنت داخل قصر الخلافة[٣] .

=الذهب « ٤ : ١٦٩ » طبعة دار الرجاء ، والنجوم الزاهرة « ٣ : ٥٣ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٦٣ ، ٧٢ ، ٨٠ ، ٨٧ ، ٨٨ ، ٩١ ، ١٠٩ ، ١٨٥ » و« عباسة من معجم البلدان » وشرح نهج البلاغة لعبد الحميد بن أبي الحديد « ١ : ٧٣ ، ٢ : ٥٩٢ » والمنتظم « ٦ : ٢٦ » ووفيات الأعيان « ١ : ١٩٢ » في ترجمة أبيها خمارويه ، وسيدات البلاط العباسي « ٩٤ » .

(١) راجع تعليق ترجمة ابن الجوزي على متنِ هذا الكتاب .

(٢) في الأصل « محمد بن جمزة الطبري » وهو خطأ واضح .

(٣) في تاريخ الطبري والمنتظم لابن الجوزي والوفيات « قصر الرُصافة » وهو الصحيح ، وقد ورد ذكر هذا القصر في حوادث سنة « ٢٥٥ » من تاريخ الطبري أيضا قال : « وكانت أم محمد بن الواثق توفيت قبل أن يبايع وكانت تحت المستعين فلما قتل المستعين صَيَّرها المعتز في قصر الرصافة الذي فيه الحرم » . وقال ابن واضح اليعقوبي في كتاب البلدان : « والجانب الشرقي من بغداد نزله المهدي بن المنصور وهو ولي عهد أبيه وابتدأ بناءه سنة ثلاث وأربعين ومائة فاختط=

خَمْرة مولاة المقتدر بالله

جعفر بن المعتضد

وأُمُّ وَلَدِه عيسى ، حكى عنها ابن أبنها الأمير أبو محمد الحسن بن عيسى حكاية ، أخبرنى بها الحافظ أبو عبد الله البغدادى عن أبى الفرج [عبد المنعم بن عبد الوهاب] الحَرَّانى عن أبى علىّ بن مهدى قال : سمعت الأميرَ أبا محمد الحسن بن عيسى المقتدر بالله قال أخبرتنى والدتى
(٣٦و) خَمْرة جارية المقتدر بالله قالتْ : استدعى المقتدر بالجواهر[1] فاختار منها مائة حَبَّة ، منها خمسون « مُدَحْرَج » ونظمها سُبْحَةً يُسَبِّح بها ،

=المهدىّ قصره بالرصافة إلى جانب المسجد الجامع الذى فى الرصافة ...» . «ص١٩» ثم قال : « وتنقسم طرق الجانب الشرقىّ وهو عسكر المهدى خمسة أقسام فطريق مستقيم إلى الرصافة [وهو]الذى فيه قصر المهدى والمسجد الجامع » . وذكره مؤلف مختصر مناقب بغداد قال – ص ٢٦ – : « ثم سوق الرصافة عظيمة جامعة ثم شارع التّرب وقصر المهدى وجامع الرصافة . . . » ، وقال الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد – ج ١ ص ٨٢ – : « لما بنى المهدى قصره بالرصافة دخل يطوف فيه . . . » وقال أحمد بن يحيى ثعلب : « ورأيت المأمون لما قدم من خراسان فى سنة ٢٠٤ وقد خرج من باب الحديد وهو يريد قصر الرصافة » « معجم البلدان ١ : ١٣٤ » ، وقال يحيى بن على بن المنجم : « قال لى أبى : صرت إلى المستعين لما صير به إلى قصر الرصافة » . « ٥ : ٤٧٥ » ، وقال مروان بن أبى حفصة : « دخلت على المهدى فى قصره بالرصافة » ، « الأغانى ١٠ : ٨٨ » ، وذكر ابن النجار أن الأمير عبد الواحد بن المقتدر توفى فى قصر الرصافة سنة ٣٣٢ « نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٨٣٠ » .

(١) فى الأصل « استدعى الجواهر وهو خطأ » .

فعُرِضَتْ على الجوهريّين ، فَقَوَّمُوا كلَّ واحدة منها ألفَ دينار وأكثر ، فكان إذا أراد أن يُسَبِّح استدعى بها ، ثم يردها إليَّ فأعلّقها فى الخِزانة فى خريطة فلما قُتل المقتدر ووقع النهب فأُخِذَتْ[١] فى جُملة ما أُخِذَ ، فلعلَّ الذى أخذها لا يَدرى ماهى .

ذكر هِلال بن مُحَسِّن الكاتِب فى تاريخه[٢] أنَّ خَمْرَة جارية المقتدر تُوفِّيت يوم الثلاثاء النصف من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وسبعين وثلاثمائة ، ونُقِل معها تابوت ابْنِها[٣] عيسى فدُفنا بالتُّرَب الشريفة[٤] .

---

(١) هكذا ورد فى الأصل بزيادة الفاء فى جواب « لما » وهو كثير فى كلامهم على سبيل التوهم .

(٢) لم يذكر هذا الخبر فى المطبوع منه الملحق بتاريخ الوزراء لابن الصابى هلال المذكور ، فهو ناقص يؤرخ من سنة ٣٨٩ إلى سنة ٣٩٣ فقط .

(٣) فى الأصل « أبيها » وهو خطأ ، والصواب ما أثبتناه .

(٤) تقدم فى ترجمة السيدة « ضرار والدة المعتضد » ص ١٠٤ » أنها دفنت بترب الرصافة ، قال ابن جبير فى رحلته — ص٢٢٩ — : «وبالرصافة تربة الخلفاء العباسيين » ، وقال ياقوت الحموى فى كلامه على رصافة بغداد : « وخربت تلك النواحى كلها ولم يبق إلا الجامع وبلصقه مقابر الخلفاء لبنى العباس وعليهم وقوف وفراشون برسم الخدمة ولولا ذلك لخربت » ثم قال : « وبرصافة بغداد مقابر جماعة الخلفاء من بنى العباس وعليهم تربة عظيمة بعمارة هائلة المنظر ، عليها هيبة وجلالة إذا رآها الرائى خشع قلبه ، وعليها وقوف وخدم مرتبون للنظر فى مصالحها وبها من الخلفاء الراضى بن المقتدر وهو فى قبة مفردة فى ظاهر سور الرصافة ، وحده ، وفى التربة قبر المستكفى والمطيع والطائع والقادر والقائم والمقتدى والمستظهر والمقتفى والمستنجد . . . » . وقد أحرقت هذه التربة أو التُرب عند احتلال هولاكو المغولى لبغداد سنة « ٦٥٦ » . ولما شاهد شمس الدين محمد بن عبيد الله الكوفى الواعظ ترب الرصافة المذكورة وقد نبشت قبور الخلفاء ، وأحرقت تلك الأماكن وأبرزت العظام والرؤوس كتب على بعض حيطانها : =

بالرُّصافة ، وكانت كثيرة البرِّ والمعروف والعطاء للفقراء والمحاويج وأهل الاستحقاق وذوى الحاجات وأهل البيوتات . (٣٧ظ)

عِصْمَةُ(١) خاتون بنت مَلِكشاه

ابن أَلْب أَرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق ، وكانت رئيسة جليلة ، من أعقل النساء وأشدِّهن حَزْماً وسَداداً . تزوجها الإمام المُستظهر بالله — رضى الله عنه — وهى بأصبهان فى سنة اثنتين وخمسمائة ، وجاءت إلى بغداد وسكنت بدار الخلافة ودَخَل بها وولدت له أبا إسحاق إبراهيم فى ثانى شعبان سنة خمس وخمسمائة ، وتُوفى بالُجدَرى فى جمادى الأولى من سنة ثمان وخمسمائة ودفن فى تُربة الإمام المقتدر بالله بالرصافة إلى جنب عمِّه جعفر(٢) بن المقتدى . ثم إن عصمة خاتون عادت إلى

= إن تَرِد عبْرةٌ فتلك بنو العب اس حَلَتْ عليهم الآفاتُ
اُستُبيح الحريمُ إذ قُتل الأحـ ياءُ منهم وأحرقَ الأمواتُ

« كتاب الحوادث ص ٣٣٧ » طبعة المعلق على هذا الكتاب مصطفى جواد .

(١) أخبارها فى المنتظم « ٩ ١٥٩ ، ١٦٥ ، ٢٤٥ » . و « ١٠ : ٢ ، ٢٧ ، ٦٠ ، ٧٨ ، ١٠٠ » ومرآة الزمان لسبط بن الجوزى « مختصر الجزء الثامن ٢٧ ، ٣٤ ، ١١١ ، ١٤١ ، ١٦٤ ، ١٦٩ » والكامل فى حوادث سنة « ٥٠٢ » وغيرها ، وسيدات البلاط العباسى « ص ١٤٦ » ، والظاهر أن المؤلف سيكرر ترجمتها باختصار باسم « خاتون زوجة المستظهر » ، ولها ذكر فى النجوم الزاهرة « ٥ : ٢٢٣ » .

(٢) كنيته أبو الفضل وسيأتى ذكره وذكر والدته « ماه ملك بنت ملكشاه السلجوقية » فى الترجمة الآتية التالية لهذه؛ وورد ذكره فى المنتظم « ٩ : ٣٨ ، ٤٧ ، ٥٧ ، ٦١ ، ٦٢ ، ٧٧ » والكامل فى حوادث سنة « ٤٨٢ » وسنة « ٤٨٧ » وهى=

أصبهان بعد وفاة الإمام المستظهر ، وتوفيت ودُفنت فى مدرستها التى بشارع سوق العسكر ، وليسَ فى الدنيا مدرسة أكبر منها ، وكانت قد وقَفَتْها على أصحاب الإمام أبى حنيفة — رحمة الله عليه — وبلغنى أنَّها قد [٣٧ ر] خَرِبَتْ فى يومنا هذا وليس لها باب ولا يمكن سكناها .

مَاه مَلِك[١] بنت السلطان ملكشاه

ابن السلطان ألب أرسلان بن داود بن ميكائيل بن سلجوق . خطبها الإمام المقتدى بأمر الله ، ونَفَّذَ أبا نصر[٢] بن جَهير فى الخِطْبة إلى والدها

=سنة وفاته ، وقد ذكر ابن الأثير أنَّ المحلة الجعفرية ببغداد الشرقية نسبت إليه ، وتعرف هذه المحلة اليوم ببغداد باسم « محلة قنبر على وتحت التكية » .

(١) لم أجد اسمها فى غير هذا الكتاب ، وأخبارها فى المنتظم « ٩ : ٢ ، ٣٦ ، ٤٤ ، ٤٧ » والكامل فى حوادث سنة « ٤٧٤ » وسنة « ٤٨٠ » وسنة « ٤٨١ » وسنة « ٤٨٢ » وهى سنة وفاتها بأصبهان ، ولها ذكر فى النجوم الزاهرة « ٥ : ٢٠٠ » وأمها تركان خاتون الآتى ذكرها .

(٢) ذكر ذلك أيضا عماد الدين الأصفهانى فى أخبار الدولة السلجوقية « ص ٦٧ طبعة القاهرة » . هو أبو نصر محمد بن محمد التغلبى الوزير الخطير الشهير . ترجمته فى الوفيات « ٢ : ١٧٩ طبعة بلاد العجم » ، والوافى بالوفيات ج ١ : ٢٧٢ » والمنتظم « ٩ : ٥٤ وغيرها » والكامل فى سنة « ٤٨٣ » وهى سنة وفاته وفى غيرها مع الحوادث ، والتاريخ الفخرى « ص ٢١٨ » وتلخيص معجم الألقاب لابن الفوطى الجزء الرابع ، الورقة ٣٣٨ من نسخة المتحف العراقى المصورة » والنجوم الزاهرة « ٥ : ١٣٣ » والشذرات « ٣ : ٣٦٩ » وأشار إليه السمعانى فى « الجهيرى » من الأنساب ، وقال ابن خلكان : وجهير بفتح الجيم وكسر الهاء وسكون الياء المثناة من تحتها وبعدها راء ، وقال السمعانى : بضم الجيم وهو غلط . . . » . قال مصطفى جواد محقق هذا الكتاب ، إن الوارد فى الأنساب فى « الجهيرى » أنه بفتح الجيم وكذلك ما فى مختصره « اللباب » لابن الأثير ، فالظاهر أن النسخة التى=

وهو بأصبهان فى شوال سنة أربع وسبعين وأربعمائة ، فأجاب إلى ذلك، وعُقد العَقْدُ هناك ، ونُقل جِهازُها إلى بغداد على مائة وأربعين جَملاً[١] ، ومائة بَغْل . ودَخَلَتْ بغداد فى ذى الحجة سنة تسع وسبعين [وأربعمائة]
(٣٨ظ) وزُفَّتْ إلى الخليفة فى صفر سنة ثمانين ، ودَخَلَتْ بِهِ ، وولدت له جعفرًا فى رابع ذى القعدة من السنة ثم إنه أعرض عنها ، فطلبت العَوْدَ إلى بلادها ، فأذِنَ لها ، فخرجَتْ من بغداد فى سادس عشر شهر ربيع الأول من سنة اثنتين وثمانين متوجهة إلى خُراسان ومعها ابنها الأمير أبو الفضل جعفر ، فوصل الخبر بموتها إلى بغداد . ودخل والدها السلطان ملكشاه بغداد فى شهر رمضان سنة خمس وثمانين [وأربعمائة] مريضاً ، ومعه سبطه الأمير أبو الفضل جعفر بن الإمام المقتدى بأمر الله ، فأقام ملكشاه أياماً ، وتوفى فى النصف من شوال من السَّنة ، وأُعيد الأمير أبو الفضل إلى دار الخلافة ، فأقام بها إلى أن توفى فى الثالث والعشرين من جمادى
(٣٨و) الأولى سنة ست وثمانين وأربعمائة ، ودفن بالتُّرب الشريفة بالرصافة .

خاتون زوجة الإمام المستظهر بالله

كانت حظيّةً عنده . تُوفِّيت فى سنة ست وثلاثين وخمسمائة ،

=وقعت إلى ابن خلكان قد تصحف فيها « بفتح » إلى « بضم » لتقارب صورتيهما إلا أن قول السمعانى « وكسر الهاء » ينفى أن ينسب إليه أنه قال « بضم الجيم » نفيًا باتا .

(١) فى الأصل « أربعمائة جمل وأربعين جملاً » والتصحيح من الكامل .

وكانت دارها حِمًى، ولها ولأصحابها الهيبة العظيمة .

بَنَفْشا[1] بنت عبد الله الرُّومِيَّة

مولاة الإمام المستضيء بأمر الله — رضى الله عنه — . كانت من خواصه وسَرارِيِّه، لها المكانة الرفيعة عنده، والمنزلة العالية، والحكم النافذ، والأمر والنهى، وكانت صالحة، كثيرة الخير، فائضة المعروف، متفقدة للفقراء والمساكين، كثيرة الصدقة والبِرّ، جَعَلَتْ دارها[2] بأسفل البلد على شاطىء دجلة مدرسة، وَوَقَفَتْها على الحنابلة، ووقفت عليها

(١) مختصر الجزء الثامن من مرآة الزمان « ص ١٩٥ ، ٣٢٦ ، ٣٤٥ ، ٣٥٣ ، ٣٥٥ ، ٤٣٨ ، ٥١٠ » والكامل فى سنة « ٥٩٨ » وهى سنة وفاتها ، والمنتظم « ١٠ : ١٢٤ ، ٢٥٠ ، ٢٧١ » والتكملة لوفيات النقلة تأليف زكى الدين عبد العظيم المنذرى المصرى « نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ٢٩ » وتاريخ الإسلام للذهبى « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٠ » والجامع المختصر فى عنوان التواريخ وعيون السير « ٩ : ٨٨ ، ١٣٦ » ومجلة المجمع العلمى العربى « ج ١٨ ص ٤٧٠ » وذيل الروضتين لأبى شامة « ص ٢٧ ، ٢٩ » وسيدات البلاط العباسى « ص ١٦٣ » ولها ذكر فى نكت الهميان فى نكت العميان للصفدى ص٩٣ » . والحوادث « ص ١٣٢ » وذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٣٤٠ طبعة القاهرة » .

(٢) ورد ذكر هذه الدار فى المنتظم « ١٠ : ١٢٤ ، ٢٥٢ ، ٢٥٨ » ومختصر مرآة الزمان « ٨ : ١٩٥ ، ٣٢٦ » وذكرها ابن جبير فى رحلته « ص ٢٢٠ » ظانًا أنها دار أبى الفرج عبد الرحمن بن الجوزى مع أنها مدرسة بنفشا المذكورة وكان يسكن فيها لأنه كان مدرسها يومئذ أى سنة « ٥٨٠ » هـ وتعرف أيضًا بالمدرسة الشاطئية كما جاء بخط ابن الجوزى المذكور فى كتاب « الأنساب المتفقة فى الخط المتماثلة فى النقط والضبط » لمحمد بن طاهر المقدسى « ص ١٣ من المقدمة طبعة ليدن » ، وكتاب « الحوادث ص٨٧ » والوافى بالوفيات » نسخة دار الكتب=

(٣٨ ظ) وقوفاً ، وبنت قنطرةً على نهر عيسى[١] ، وعقدت جسراً على دِجلة ، وبنى لها الإمام المستضىء بأمر الله دارًا[٢] مجاورة لباب الغَربَة[٣] الشريف[٤]

=الوطنية بباريس ٢٠٦٦ الورقة ٢٠٢ » . وقد جاء ذكرها فى تصديرنا لكتاب « تكملة إكمال الإكمال » لجمال الدين محمد بن على المحمودى المعروف بابن الصابونى « ص ١٦ » .

(١) قال ياقوت الحموى فى معجم البلدان : « نهر عيسى بن على بن عبد الله ابن العباس . . . ومأخذه من الفرات عند قنطرة دمماً ثم يمر فيسقى طسوج فيروز سابور حتى ينتهى إلى المحول ثم تتفرع منه أنهار تتخرق مدينة السلام ثم يمر بالياسرية ثم قنطرة الرومية وقنطرة الزياتين وقنطرة الأشنان وقنطرة الشوك وقنطرة الرمان وقنطرة المغيض عند الأرحاء ثم قنطرة البستان ثم قنطرة المعبدى ثم قنطرة بنى زريق ثم يصب فى دجلة عند قصر عيسى ، وكان عند كل قنطرة سوق تعرف بها ، الآن [٦٢٦ هـ] ليس من ذلك غير قنطرة الزياتين وقنطرة البستان وتعرف بقنطرة المحدثين وهو نهر عليه متنزهات وبساتين كثيرة وقد قالت الشعراء فيه فأكثروا . . . » . وأكثر هذا مأخوذ من تاريخ الخطيب البغدادى « ١ : ١١١ » وأكثر ما فى تاريخ الخطيب مأخوذ من كتاب أنهار العراق لابن سرافيون « ص ١٤ » وأعلى هذا النهر كان يسمى « نهر الرُّفَيْل » وفى مادة « نهر الرفيل » من مراصد الاطلاع على الأمكنة والبقاع لعبد المؤمن البغدادى زيادة إيضاح لنهر عيسى . ومحلة نهر عيسى اليوم تسمى « محلة السوق الجديد » فى الجانب الغربى من بغداد ، وآخر النهر كان يسمى « المسعودى » إلى آخر أيام الحكم العثمانى ببغداد .

(٢) قلت : تسمى « دار سوق التمر » قال ياقوت الحموى : « دار سوق التمر : وهى الدار التى قرب باب الغربة من مشرعة الإبريّين ، ذات الباب العالى جداً وهو الآن مسدود وتعرف بالدار القطنية » . وفى مراصد الاطلاع « دار سوق التمر هى الدار المتصلة بباب الغربة ومن الجهة الأخرى بالبدرية وهى دار عظيمة من دار الخلافة مشرفة على مشرعة الإبريّين لها باب عال ودركاه فى صدر المخلطيّين » . وذكرها مؤلف الحوادث فى ترجمة الأمير قشتمر الناصرى قال : « ونقله الناصر إلى الدار المنسوبة إلى بنفشا مجاورة باب الغربة » . « ص ١٣٢ » وقد هنأ المستضىء بافتتاحها شاعر عصره محمد بن عبيد الله المعروف بسبط ابن التعاويذى بقصيدة مذكورة فى ديوانه « ص ٤٥٢ » .

(٣) كان أحد أبواب دار الخلافة العباسية بالجانب الشرقى من بغداد ، وكان أعلى الأبواب « راجع مادة الحريم » من معجم البلدان و « الغربى » من أنساب السمعانى .

(٤) فى الأصل « الشريفة » والباب مذكر عند الفصحاء.

على شاطىء دجلة ، فجاءت عالية البناء ، واسعة الفناء ، تشتمل على مقاصير وحجرات ومناظر ومُتَـنَزَّهات[١] ، ويجاور هذه الدار أربعة دواليب[٢] تستقى[٣] الماء من دجلة إلى دار الخلافة المعظَّمة ، كل واحد منها أعلى من الآخر ، فيأخذ الأول من دجلة ، والثانى من الأول ، والثالث[٤] من الثانى ، والرابع من الثالث . ولما تمَّتْ هذه الدار أَمرت بإنشاء جسر جديد يُنصبُ بين يدى هذه الدار إلى باب الرَّقَّة[٥] بالجانب الغربىّ ، فصار ذلك فُرجة الأنام ، ومتنزَّه الخاص والعام أُنشِدْتُ لبعض الشعراء : [٣٩و]

لَيْسَ شىءٌ يُشاكل الُحسْنَ فى الجِسْـ ... ـرِ وما إنْ لحُسْنِه مِن مُوازِى
دِجْلةٌ تحتــــه كمثل بِساط ... أزرقٍ مُعْـــلَم بفَرْدِ طِراز

وتكامل َبناء هذه الدار ، وتمَّتْ عمارتها فى سنة تسع وستين وخمسمائة ، وبنت مسجداً[٦] كبيراً بسوق الخبّازين[٦] قريباً من العقد الحديد .

---

(١) فى الأصل « مستنزهات » .
(٢) فى الأصل « أربع » .
(٣) فى الأصل « تسق » .
(٤) فى الأصل « والثانى من الثالث » .
(٥) وهى بستان الخلفاء على دجلة مقابل دار الخلافة فى الغرب « راجع الأنساب للسمعانى فى الرقى » .
(٦) ذكر هذا المسجد أبو الفرج بن الجوزى فى حوادث سنة « ٥٧٣ هـ » قال — ج ١٠ ص ٢٧٢ — : « وأنشأ أمير المؤمنين [المستضىء بأمر الله] مسجداً كبيراً فى السوق [سوق الثلاثاء] عند عقد الحديد ، وتقدم بعمارته فعمر عمارة فائقة ، وكسى وقدم فيه عبد الوهاب بن العيبى زوج ابنتى ، فصلى فيه بعد النصف من شعبان وأجريت له مشاهرة ... » . وقال المؤرخ محمد بن سعيد بن الدبيثى الواسطى فى ترجمة العيبىّ هذا : « وأقرأ القرآن الكريم وأمَّ بالناس فى الصلوات=

وسمعتُ أُنها كانت فى عيد الفطر فى كل سنة تُخرج زكاة الفِطر صاعًا من تَمْر ثم تقول : هذا ما فرضه الشرع علىّ وأنا لا أقنع من مِثلِي بهذا . فتُخرج صاعًا من الذهب العَيْن، وتأمُر بتفرقته على الفُقراء . وأعتقت خلقاً من الموالى : الجوارى والمماليك . توفيت يوم الجمعة التاسع والعشرين من شهر ربيع الأول من سنة ثمان وتسعين وخمسمائة ، وصُلِّى عليها بعد صلاة العصر بصَحن السلام من دار الخلافة وحُمِلَتْ فى الماءِ إلى الجانب الغربى فصُلِّى (٣٩ظ) عليها بباب تُربة الجهة السعيدة والدة[1] الإمام الناصر لدين الله — رضى الله عنه — المجاورة لمعروف الكرخى — رحمة الله عليه — ثم دفنت

=بالمسجد الذى أنشأته بنفشا عند عقد الحديد » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ١٥٦ » . وقال ابن النجار فى ترجمته : « وكان يصلى إماماً بالمسجد الحديد بسوق الخبازين عند عقد الحديد ». « نسخة بالمكتبة الظاهرية بدمشق ، الورقة ٦٠ » وورد مثل هذا القول فى ذيل طبقات الحنابلة لابن رجب « ١ : ٨٨ طبعة القاهرة » ، والظاهر أن سوق الخبازين كان مجاوراً لدرب الخبازين الوارد ذكره فى منتخب المختار من ذيل تاريخ ابن النجار « ص ٧٤ » ويعرف اليوم بدرب العاقولية بشرقى بغداد ، ويعرف بسوق الحيدرخانة ، ولعل المسجد المذكور هو أصل مسجد الحيدرخانة الحالى فى السوق المذكورة .

(١) هى زمرد خاتون ، والظاهر أن المؤلف ذكرها فى كتاب « أخبار من أدركت خلافة ولدها » ولها ترجمة فى الكامل فى حوادث سنة « ٥٩٩ » وهى سنة وفاتها ، وفى مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٥١٣ » وذيل الروضتين « ص ٣٣ » وتاريخ الإسلام « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١١٧ » والتكملة لوفيات النقلة « نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة ، الورقة ٤٠ » والوافى بالوفيات « نسخة دار الكتب باريس ٢٠٦٤ الورقة ٨٥ » ، وتربتها لا تزال قائمة بجوار تربة معروف الكرخى وتعرف بالست زبيدة ، وذكر هندوشاه الصاحبى فى تاريخه « تجارب السلف » بالفارسية أنها حجت سنة ٥٨٥ « ص ٣٢١ » .

داخل التُّربة المذكورة ، وذلك قبل وفاة صاحبة التُربة أم الإمام الناصر لدين الله — رضى الله عنهما — .

شَرَف* خاتون التركية

عَتيقة الإمام المستضىء بأمر الله — رضى الله عنه — ، وأُمُ ولده الأمير أبى منصور هاشم ، كانت امرأة صالحة ، تُوفى مَولاها الإمام المستضىء بأمر الله وهى فى الحياة ثم ولدها الأمير أبو منصور وعاشت بعده مدّةً طويلة ، وتوفِّيت عشية الثلاثاء تاسع عشر رجب من سنة ثمان (٤٠و) وستمائة، وصلِّى عليها يوم الأربعاء بصحن السلام، ودُفنت بتُرَب الرُّصافة — رحمها الله — .

سَلْجُوقى(١) خاتون

بنت السلطان قلج أرسلان بن مسعود ملك الروم ، زوجة الإمام الناصر لدين الله — رضى الله عنه — ، قَدِمت بغداد طالبة للحَجّ فى

* لم أقف لها على ذكر فى كتاب آخر .

(١) عرفت بالأخلاطية والخلاطية ، ذكرها ابن الأثير فى حوادث سنة « ٥٨٤ » وهى سنة وفاتها باسم « سلجوقة خاتون » وذكرت فى مختصر مرآة الزمان « ج ٨ ص ٦٨٧ » ، وجاء ذكرها فى تاريخ الإسلام للذهبى باسم « سلجوقى خاتون» كما فى نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقة ١٥ » وكذلك فى الوافى بالوفيات» نسخة دار الكتب المذكورة ٢٠٦٦ الورقة ١٥٣» وجاء فى ديوان سبط=

مَوْسِمِ سنة تسع وسبعين وخمسمائة ، فَحجَّت وعادَت إلى بلدها سنة ثمانين وخمسمائة فأقامت هناك ثمانية عشر شهراً ثم خَطبها الإمام الناصر لدين الله — قَدَّس الله روحه — فَزُوِّجَتْ منه ، وأَنفَذَ إليها مَن[1] جاءَ بها ، ودَخَل بهـا وأعطاها من الجواهر الثمينة وتُحف الخلفاء والملوك مالا تُعرف قيمتُه ، وصادفَتْ منه قبولاً عظيماً ، فأقامَتْ عنده مُدَّة
(٤٠ ظ) يسيرة فى أَرغد عيشٍ وأصفاه ثم عاجَلَها ريب المنون فاستُلِبَتْ من غضارتها ونعيمها ولحِقَتْ بالعابِرين[2] . ووَجَدَ الناصر لدين الله من الحُزْن عليها والأسف على فراقها ما مَنَعَه من الأكل والشُّرب أياماً ، وتُرِكت دارها[3] بجميع ما فيها من الأقمشة والأثاث على حالها سِنين عديدة لا تُفتح ولا يؤخذُ منها شيء .

=ابن التعاويذى — ص ٢٢٢ — « قال يرثى الجهة الشريفة سلجوكى خاتون ابنة السلطان قلج أرسلان بن مسعود نوّر الله ضريحيهما » . يقول فيها :

فيا قبر ما بين الصراة ودجلة   إلى نهر عيسى جادك الغيث من قبر

وذكرها ابن جبير فى رحلته وكان قد حج بيت الله الحرام فى سنة حجها إياه . ص ١٨٣ ، ٢٣٠ ، ٢٣٧ ، وهندوشاه الصاجبي فى تاريخه « تجارب السلف » بالفارسية « ص ٣٢١ » وقد ذكر ثلاثة أبيات من مرثية سبط ابن التعاويذى لها .

(١) قال الذهبي فى تاريخ الإسلام « ومضى لإحضارها الحافظ يوسف ابن أحمد » ثم ذكر ترجمة هذا الحافظ الشيرازى الأصل الصوفى المذهب فى وفيات سنة ٥٨٥ « الورقة ٢٥ » وذكر الخبر الأول الصفدى فى الوافى بالوفيات .

(٢) هذا هو الصواب وإن جاز بالغين المعجمة على سبيل الأضداد وهو من قولهم « عَبَرَ فلان أى مات ، وضده « غَبَرَ أى بقى » .

(٣) قال على بن أبى الفرج البصرىّ فى « المناقب العباسية والمفاخر المستنصرية » : وبما يروى عن الناصر أنه لما توفيت خاتون بنت أرسلان الخلاطية أغلق الموضع الذى كانت تسكنه وفيه آلات الذهب والفضة » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٧٦٢ الورقة ١٤٣ » .

وكانَتْ قد اختارتْ أن تُنشىء تُرْبَةً إلى جانب مشهد[١] عَوْن ومُعِين وَلَدَىْ عَلِيّ — عليه السلام — بالجانب الغربيّ فى مَشرعة الكرخ لتُدفن فيها إذا ماتت فشُرِع فى بنائها، فلم تَصْعَد حيطانُها قامة حتى أدركها أجلُها فدُفنت[٢] فيها وتُمِّمَ بناؤها، وَوُقِفَتْ فيها خِزانة[٣] من

(١) قال ابن جبير فى رحلته فى وصف الجانب الغربى من بغداد : « وفى الطريق إلى باب البصرة مشهد حفيل البنيان ، متسع السنام عليه مكتوب (هذا قبر عون ومعين من أولاد أمير المؤمنين على بن أبى طالب رضى الله عنه) » . وقال سبط ابن الجوزى فى مرآة الزمان فى تعداد أبنية الخليفة الناصر لدين الله « ذكر عماراته : رباط الأخلاطية والتربة . . . وتربة عون ومعين عند تربة الأخلاطية » « مختصر ج ٨ ص ٦٣٧ » . وأخطأ الصلاح الصفدى فنسب عمارات الناصر ومنها مشهد عون ومعين إلى ابنه محمد الظاهر « نكت الهميان ص ٢٣٨ » . والوافى بالوفيات « ٢ : ٩٥ » وذكر هذا المشهد فى معجم الأدباء لياقوت « ٦ : ٢٣٠ » والجامع المختصر « ٩ : ٢٥٩ ، ٣٩٥ » وغيرهما .

(٢) قال ابن الأثير فى حوادث سنة ٥٨٤ من الكامل : « وبنى الناصر على قبرها تُربة بالجانب الغربىّ وإلى جانب التُربة رباطه المشهور بالرملة » وذكر سبط ابن الجوزى أن الناصر لدين الله ولى الشيخ عبد الوهاب بن عبد القادر الجيلى المظالم وتربة الخلاطية فيما ولاه . « مخ ج ٨ ص ٤٥٤ » وذكر هذه التربة « نيبور » السائح الدانمركي فى رحلته وقد دخل بغداد سنة ١٧٦٦م = ١١٨٠هـ وكان اسمها قد عفا من تربتها وبقى فيها ما نصه « . . . الملك العادل قليج أرصلان بن الملك مسعود ابن العادل قلج أرصلان من طائفة سلجوق وذلك سنة أربع وثمانين وخمسمائة » وهى سنة وفاتها كما قدمنا . « رحلة نيبور ج ٢ ص ٢٤٤ من النسخة الفرنسية » وقد ظن هذا الرحالة أنها من إنشاء قلج أرسلان ! ! وقد جرفت دجلة التربة والرباط الآتى ذكره قبل زهاء مائة سنة ، وهذا الموضع يسمى اليوم شريعة الخضر إلياس فى محلة الجعيفر ، وقد فصلنا الكلام على هذه التربة والرباط المذكور بعدها فى مجلة سومر « مج ١٠ ج ٢ ص ٢٣٤ » .

(٣) قال كمال الدين عمر بن العديم الحلبى صاحب دفع التجرى عن أبى العلاء المعرى فى ترجمة « الأعسر بن مُهارش الكلابى » : « قرأت الحكاية فى مجموع عتيق مكتوب فى أيام سيف الدولة أو قريب من عصره وشاهدتها فى المجموع =

(٤١و) الـكتب النفيسة ، تُعَارُ لِمَنْ طَلَبَها بالرهن ، وأنشأ الإمام الناصر لدين الله — رضى الله عنه — إلى جانبِ تُربتها رباطاً[1] مليح البناء ، واسع الفناء ، ووقَفَه على الصوفيَّة ، وغَرَسَ بين يديه بُستاناً أَنيقاً يُشرف على دجلة ويُسقى بدولاب من مائها ، وَوَقَفَ عليه وعلى تُربتها أوقافاً كثيرة ، غزيرة النُّمُو والدَّخْل ، وأَمَرَ أَنْ يُحَجَّ عنها فى كلِّ سنة ، ويُخرَج من الصدقات فى طريق مكة شىءٌ كثير من الماء والزاد والـكُسوة والنعال وأَدوية المرضى ، ويُحَجَّ بجماعة من أهل الدين والصلاح .

قرأت بخط الشيخ أبى الفرج بن الجَوْزىّ[2] : توفيت سلجوقى خاتون (٤١ظ) زوجة الخليفة فى ليلة الاثنين ثانى شهر ربيع الآخر من سنة أربع وثمانين وخمسمائة ، وصُلِّىَ عليها فى التاج ، وقُعِدَ لها فى العزاء ثلاثة أيام فى تُربتها ،

=على الصورة التى أذكرها بخط بعض الأخباريين فى جزء وقفت عليه فى وقف الإمام الناصر أبى العباس أحمد بالخلاطية فى الجانب الغربى ببغداد » . « بغية الطلب فى تاريخ حلب : نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٨ الورقة ١٧٠» وقال ياقوت الحموى فى ترجمة على بن فضال إنّ له «كتاب الدول فى التاريخ ، رأيت فى الوقف السلجوقى ببغداد منه ثلاثين مجلداً ويعوزه شىء آخر» .

(١) ذكر القفطى أن الذى اختار الكتب لهذا الرباط هو برهان الدين أبو الرشيد مبشر بن أحمد الرازى البغدادى « تاريخ الحكماء « ص ١٧٧ » وقد فصلنا الكلام على هذا الرباط فى مجلة سومر « مج ١٠ ج ٢ ص ٢٣٤ » .

(٢) لم أجد هذا الخبر فى تاريخه « المنتظم » ولا يصح أن يوجد فيه لأنه انتهى بسنة « ٥٧٤ » ، قال سبطه فى مرآة الزمان فى حوادث هذه السنة « انتهى تاريخ جدى المسمى بالمنتظم فى هذه السنة وله تاريخ صغير سماه (درّة الإكليل) ذيل فيه من هذه السنة إلى أن حمل إلى واسط فى سنة تسعين وخمسمائة غير أنه لم يستقص الحوادث . . . » . « مخ ج ٨ ص ٣٥٣ » . فالظاهر أنّ هذا الخبر من درّة الإكليل .

وحضر الوزير والأكابر والأمراء والعلماء، وقعدوا ليالى الجُمَع والأثانين، وفُرِّق مال، وأثَّر موتها فى دار الخليفة أثراً عظيماً. رحمها الله.

شَاهَان(١) مولاة الإمام المستنصر بالله

أبى جعفر المنصور — قَدَّسَ الله روحه —، كانت جارية رُومية على مِلْك خَتاخاتون(٢) بنت الأمير سُنْقُر الطويل الناصرى زوجة الأمير جمال الدين بَكْلَك(٣) الناصرى. اعتَنَتْ بتأديبها وتربيتها، وشَمِلَتْها

(١) لم أجد لها ذكراً فى كتب التاريخ والأدب التى وصلت إليها يدى، سوى كتاب «العسجد المسبوك فى تاريخ دولة الإسلام والملوك» لعلى بن الحسن الخزرجىّ قال فى حوادث سنة «٦٥٢ هـ»: «وماتت الجهة شاهان حظية الإمام المستنصر بالله، وكان لها عنده المنزلة الرفيعة والمقام الذى لا يصل إليه غيرها، وكان لها باب وديوان ووكلاء، وحكمت فى الديوان وأقطعت القرى والعقارات السنية. قال ابن الخازن: عمل صاحب ديوانها حسبة شهرية لما أطلق فيه إلى الباكرة والزراكشة والصاغة والتجار والبزازين والجوهريين وأرباب الصنائع على اختلاف صنائعهم، فى وجوه البرّ والصدقات ما يزيد على مائة ألف دينار وخمسمائة ألف درهم ونيف وستين درهماً. وكانت وفاتها فى شوال من السنة المذكورة، وصلى عليها الوزير [مؤيد الدين محمد بن العلقمى] وكافة أرباب الدولة وحملت إلى الرصافة».
«نسخة المجمع العلمى العراقى المصورة، الورقة ١٨٣».

(٢) ورد ذكرها فى الجامع المختصر «٩ : ٢٨، ٤٦، ١١٠، ١٢١، ٢٧٥» أمها قطر الندى بنت عبد الله التركية، وسيذكرها المؤلف فى أثناء كلامه على سيرة «شاهان».

(٣) الظاهر أنه تزوجها بعد وفاة زوجها الأول علم الدين قزل المتوفى سنة «٦٠٥ هـ». «الجامع المختصر ٩ : ٤٦، ٢٧٥» وتلخيص معجم الألقاب «نسخة المكتبة الظاهرية بدمشق ج ٤ و ٦٨»، أما زوجها بكلك فقد ورد ذكره فى الجامع المختصر أيضاً «٩ : ١١٠» ووردت أخباره فى التاريخ الذى سميناه «الحوادث الجامعة» استرجاحاً «ص ٤٤، ١١١»، و«نزهة الأنام فى تاريخ=

بعنايتها ، فظهرت عليها آثار السعادة ومخايل النجابة ، فلما بويع الإمام
(٤٢و) المستنصر بالله أهدتها له في جملة جَوارٍ ، فحظِيَت عنده من بينهن وتقدَّمت
وصارت لها المنزلة الرفيعة والمكانة العالية والمقام الذي لا يصل إليه غيرها
من القرب والاختصاص ، وصار لها باب مُفْرَد وديوان ووكلاء ونُوّاب
وخدم وحاشية جميلة ، وأُمرِجَتْ في الأموال تتصرَّفُ فيها على حسب
إيثارها واختيارها ، وتأمر وتنهى بأتمّ أَمْرٍ وأَنفَذ حُكم . حدثني بعض
نُواب ديوانها أَنها عمِلَت حِسبةً شهريَّةً لِما أُطلِق فيه إلى السَّناكرة[1]
والزراكشة والصَّاغة والتجار والبزَّازين والجوهريين[2] وأرباب الصَّنائع
على اختلاف صنائعهم مائة ألف دينار وخمسة آلاف[3] وثلاثمائة
(٤٢ظ) ونيف وستون ديناراً . وكانت كثيرة البِرّ والمعروف والتفقد للفقراء
والأرامِل والأيتام ، دائمة الصدقات ، مائلة إلى الخير ، راغبةً في فعله ،

=الإسلام» لإبراهيم بردقماق « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٩٧ الورقة ٢٤ » وشذرات الذهب « ٥ : ١٧٠ » . قتل في وقعة بين الجيش العباسي والجيش المغولي في شرقي العراق سنة ٦٣٥ ﻫ وإليه نسب « قطب الدين أبو المظفر سنجر بن عبد الله البكلكيّ الملقب بزريق الذي قتله المغول في هجومهم على بغداد بقيادة هولاكو سنة ٦٥٦ « تلخيص معجم الألقاب ٤ : و ٤٠٨ من نسخة المكتبة الظاهرية » .

(١) كذا وردت في الأصل ، وقد نقلناها من تاريخ الخزرجي بصورة « الباكرة » ولم نقف على معناها ، ولعلّ أصلها « البنادرة جمع البندار قال ابن السمعاني في البندار من الأنساب « البندار ... هذه النسبة إلى من يكون مكثراً من شيء يشتري منه من هو أسفل منه أو أخف حالاً وأقل مالاً ثم يبيع ما يشتري من غيره وهذه لفظة أعجمية . . . » .

(٢) في الأصل « والجوهرين » .

(٣) في الأصل « ألف » على عادتهم في الاختزال .

مُحبة لأهله . ولَمَّا توفى مولاها الإمام المستنصر بالله — كرم الله مثواه وجعل الجَنّة مأواه — وبُويع ولده سيدنا ومولانا الإمام المستعصم بالله أمير المؤمنين — أيَّد الله شريف دولته القاهرة ، وبلَّغه آماله فى الدنيا والآخرة - أجراها على عادتها فى الإكرام ، ووفَّر نَصِيبَها من التبجيل والإعظام ، ونقلها بجواريها[١] وخدمها ، وأتباعها وحَشَمها ، إلى الدار التى نَشأت بها عندستِّها ، المعروفة بدار بنفشا ، المجاورة لباب الغربة الشريف. وقد ذكرت تاريخ بناء هذه الدار فى الأيام المستضيئية للجهة بنفشا ثم فى الأيام الناصرية - سقى الله عهودها صَوْب الرحمة والرضوان - حيث (٤٢و)
أُنْعِم بسكنى هذه الدار على خَتاخاتون[٢] بنت سُنْقُر الطويل الناصرىّ ، أُضيف إليها ما كان يجاورها من الخانات والدور ، وأُنْشِئ[٣] فيها بستان ، ونقل إليه من جميع الأشجار ، فصار يانع الثمار ، مليح الأزهار . وأجريت إليه المياه من الدواليب التى تسقى بساتين الدار العزيزة ، ويقابل هذه الدار بستان فاخر ، وشجر مُثمر زاهر ، ومنظر عجيب باهر ، فالجالسُ فى مناظر هذه الدار يُشرف على دجلة وجسرها ، فهى نزهة العيون ، وفرحة القلب المحزون ، ورُتِّبَ لها البوَّابون والفراشون والمشائيّة ، وأَقرَّت على جميع ما كان يصلُ إليها فى الأيام المستنصريّة — سقى الله (٤٢ظ)

(١) فى الأصل « بجوارها » .

(٢) تقدم ذكرها فى « ص ١١٩ » من هذا الكتاب .

(٣) فى الأصل « وأنشأ » والمجهول أولى بالسياق .

عهودها صوب الرحمة والرضوان - من الراتب والجارى من المخزن المعمور، وجُعل فى بابها عدل ملازم جميع النهار، مُنفِّذاً لما تأمرُ به، ومُثبتًا ما يجرى على يد الخدم المختصِّين بخدمتها.

وحيث قد أَثْبَتُّ ما شرطتُه من ذكر أخبار جهات الخلفاء سأُتْبِعُهم (كذا) بمن ليس له ذكر ممّن يُنسبُ إلى الأمراء والوزراء.

دَوْلة جارية الإمام عبد الله بن المُعْتزّ بالله

روت عن مولاها. روى عنها أبو بكر[1] بن العلّاف الشيرازى النحوىّ. أخبرنى الحافظ أبو عبد الله البغدادى عن أبى القاسم[2] الأَزَجى

(١) هو هبة الله بن الحسن كما فى أنساب السمعانى أو «الحسين» كما فى معجم الأدباء «مختصر ج ٧ ص ٢٤٠» قال السمعانى: «كان إماماً فاضلاً وشاعراً بارعًا . . . سمع منه الحاكم أبو عبد الله الحافظ وذكره فى تاريخ نيسابور فقال: العلامة أبو بكر الفارسىّ المعروف بابن العلاف وكان من أفراد الزمان فى عصره فى أنواع العلوم . . .» وذكر أنّ وفاته كانت بشيراز سنة «٣٧٧» عن نيف وتسعين سنة، وله ترجمة فى «إنباه الرواة على أنباه النحاة» للقفطى «ج ٣ ص ٣٥٨» وبغية الوعاة للسيوطى «ص ٤٠٧».

(٢) هو يحيى بن أسعد بن بوش الخباز المحدث، قال محمد بن سعيد بن الدبيثى الواسطى المؤرخ كما جاء فى المختصر المحتاج إليه من تاريخه لشمس الدين الذهبى: «يحيى بن أسعد بن يحيى بن بوش أبو القاسم الخباز الأزجى، سمع الكثير بإفادة خاله على بن أسعد الخباز، وبورك فى عمره، واحتيج إليه وحدث نحواً من أربعين سنة ولم يكن عنده من العلم شىء . . . توفى فى ذى القعدة سنة ثلاث وتسعين وخمسمائة . . .». «نسخة دار الكتب المصرية الورقة ١٢٦». ونقل الذهبى فى تاريخ الإسلام أكثر أقوال ابن الدبيثى وقال فى آخر الترجمة: «**كان فقيرًا قانعًا، كان يُعطى على التسميع، ولد سنة عشر وقيل ثمان** =

عن أبى الرجاء أحمد بن محمد الكسائى قال : كتبَ إلىّ أبو نصر عبد الكريم ابن محمد الشيرازى قال أنشدنى القاضى أبو الفَضل زيد بن على الرازى (٤٤و) قال أنشدنى أبو على الحسين بن أبى القاسم الفاشانى أنشدنا أبو بكر بن العلاف قال : أنشدتنا دولة جارية عبد الله بن المعتز . قالت أنشدنا عبد الله ابن المعتز :

وقفتُ على الفُراتِ وليس تجرى سفائنُه لنُقصـانِ الفُراتِ
فلمّا أنْ ذكرتكِ فاضَ دَمعى فأجراهُنَّ جَرْىَ العاصِفاتِ

حَياة خاتون جارية الإمام الظاهر بأمر الله رضى الله عنه

كانت جارية تركية الجنس ، حَظِيَّة عنده ، مُقَرَّبة إليه ، أُمَّ وَلَدٍ له ، عَتَقَتْ بمَوتِهِ ، وصارت حُرَّةً . تُوفيَت يوم الجمعة سادس صفر من سنة تسع وثلاثين[1] وستمائة وصُلِّى عليها فى صحن السَّلام، وأُخرجَتْ من باب (٤٤ظ) البُشرى[2] وحُملَتْ إلى تُربة[3] الإمام المستضىء بأمر الله فدُفِنَت هُناك .

= وخمسمائة» . «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢ الورقه ٧٤» وله ترجمة فى مرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٥٥٤ » قال السبط : « وقد سمعتُ منه الحديث وكان ثقة » ، وله ترجمة فى ذيل الروضتين «ص ١٢، ١٣» والشذرات «٤ : ٣١٥» وله ذكر فى النجوم الزاهرة « ٦ : ١٤٣ » .

(١) فى الأصل « ثلاث » وهو خطأ بدلالة بقائها بعد موته وعتاقها ، وهو قد توفى سنة « ٦٢٣ » هـ .

(٢) ورد ذكره فى الكتاب الذى سميناه « الحوادث الجامعة » استرجاحًا فى « ص ٥٣ ، ٩٢ » والظاهر أنه أحد أبواب دار الخلافة العباسية الشاطئية .

(٣) قال سبط ابن الجوزى فى حوادث سنة « ٥٧٦ » من مرآة الزمان :=

جِهَةٌ تُعرفُ بـ (باب جَوْهر)

نِسْبةً إلى أَحَد خَدَمِها(١)، كانت جارية تركية من حظايا الإمام الظاهر بأمر الله أيضاً. لها قرب واختصاص. تُوفيت فى حادى عِشْرِى المحرَّم من سنة سبع وثلاثين وستمائة، وصَلّى عليها أستاذ الدار العزيزة مؤيد الدين أبو طالب محمد بن العلقمىّ، ودُفنت بالتُّرب الشريفة بالرُّصافة.

=« وفيها ابتدأ الخليفة [الناصر] بعمارة تربة المستضىء المجاورة لجامع فخر الدولة [بن المطلب] وتولى عمارتها ابن الصاحب أستاذ الدار ونقل تابوته إليها ». « مختصر ج ٨ ص ٣٦٠ » وقال ياقوت الحموى فى « الرصافة » من معجم البلدان: « وأما المستضىء فعليه تربة مفردة فى ظاهر محلة قصر عيسى بالجانب الغربى من بغداد معروفة ». وقال ابن الدبيثى الواسطى فى ترجمة المستضىء: « دفن بدار الصخر التى كان يعمل بها دعوة الصوفية كل رجب، فى إيوانها ثم نقل تابوته فى ليلة النصف من شعبان سنة ست وسبعين وخمسمائة إلى الجانب الغربىّ فدفن بتربته المنسوبة إليه بقصر بنى المأمون على دجلة بوصية منه ». « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٢١٣٣ الورقة ١٨٢ ». وجاء فى حوادث سنة ٦٤٧ من كتاب الحوادث أنه فى تلك السنة انشق حائط تربة الخليفة المستضىء بأمر الله فنقل من مدفنه إلى موضع فى التربة المذكورة ونقل معه سبعة توابيت فيها أخته عائشة المعروفة بالفير وزجية وولده أبو منصور [هاشم] وولدان للظاهر وزوجة الظاهر [حياة خاتون] ثم نقلوا فى هذه السنة إلى الترب بالرصافة ». « ص ٢٤٢ ».

(١) سميت « باب جوهر » على طريق الكناية، وكان ذلك من مألوف العباسيين المتأخرين، كباب عنبر بنت الخليفة المستنصر بالله، « تلخيص معجم الألقاب ج ٥ الترجمة ٢٦٩ من باب الميم »، وباب يشير حظية المستعصم بالله العباسى « الحوادث ٢٧٥، ٣٠٧ ».

قَبِيحَة مولاة العباس[١] بن الحسن
وزير المقتدر بالله

(٤٥و) رَوَتْ عن أبى بكر الحسن[٢] بن على بن أحمد بن بشار بن العلاف الشاعر شيئاً من شعره . روى عنها أبو عبد الله محمد[٣] بن المُعَلَّى الأَزْدىّ البصرى فى أماليه . قرأتُ على الحافظ أبى عبد الله البغدادى عن ذاكر[٤] بن كامل الحَذَّاء عن أبى نصر محمود بن فضل

(١) وزر العباس للمكتفى ثم للمقتدر . قتله الحسين بن حمدان « التاريخ الفخرى ص ١٩٢ » وتجارب السلف بالفارسية لهند وشاه « ص ١٩٧ » . وكان السبب فى قتله أنه واطأ جماعة من الأمراء والكتاب على خلع المقتدر سنة « ٢٩٦ » ثم نكص عن عزيمته فقتله المتآمرون . كما جاء فى الكامل فى حوادث هذه السنة .

(٢) ترجمه الخطيب البغدادى فى تاريخ بغداد « ٧ : ٣٧٩ » وذكر أنه توفى فى سنة « ٣١٩ » هـ . وقيل إنه توفى سنة « ٣١٧ » وله ترجمة فى فوات الوفيات « ١ : ١٥٠ » والسمعانى فى « العلاف » من الأنساب ، وابن الأثير فى « العلاف » من اللباب ، والوفيات « ١ : ١٥٠ طبعة بلاد العجم » ونكت الهميان للصفدى « ص ١٣٩ » وهو صاحب الأبيات المشهورة فى رثاء المبرد التى مطلعها :

ذهب المـــبرد وانقضت أيامه … وليَذهبنَّ مع المبرد ثعلب

« معجم الأدباء ٢ : ١٣٩ » وليست هى لثعلب كما ذكر كمال الدين بن الأنبارى فى « نزهة الألباء ص ١٥٦» طبعة على يوسف بمصر .

(٣) قال ياقوت : « محمد بن المعلى بن عبد الله أبو عبد الله الأسدى الأزدى (كذا) النحوى اللغوى ، روى عن الفضل بن سهل وأبى كثير الأعرابى وابن لنكك الشاعر والصولى أبى إسحاق إبراهيم وابن دريد اللغوى إجازة وغيرهم ، وله شرح ديوان تميم بن مقبل وغير ذلك » . « مختصر ج٧ ص ١٠٧ » وله ترجمة فى بغية الوعاة « ص ١٠٦ » .

(٤) ذكر ابن الدبيثى ذاكراً هذا فى تاريخه قال : « ذاكر بن كامل بن أبى غالب . . . الخفاف أبو القاسم الحذاء أخو أبى بكر المبارك . . . سمع بإفادة أخيه المذكور ، الكثير من الشيوخ . . . وبورك له فيما سمعه حتى حدث سنين كثيرة ،=

الأصبهانى قال أخبرنا أبو القاسم على بن حسين الرَّبَعىّ أخبرنا أبو الحسن الماوردى حدثنا أبو عبد الله محمد بن المُعَلَّى[1] إملاءً قال : أنشدتنا قبيحةُ مَولاة العباس بن الحسن قالت أنشدنا أبو بكر العلّاف البغدادى لنفسه :

قُل لمن يُبرِمُ المريضَ فلو عُدْ ... تَ صحيحاً لعادَ ذاك مَريضا
لا تُطِلْ عنده الجلوسَ فيزدا ... دَ طويلاً من السَّقام عَريضا
قُل له كيف أنتَ وادعُ له الله ... هَ وعَجِّلْ عن العَليل النهوضا
فإذا كان مَن يَعُود مُطيلاً ... لم يكُنْ عائدًا وكانَ بغيضا (٥٤ط)

أنبأنى محمد[1] بن عبد الواحد الهاشمى عن محمد بن عبد الله قال أخبرنا المبارك بن عبد الجبار إذناً قال أخبرنى أقضى القضاة أبو الحسن على البصرى [الماوردىّ] قراءة عليه حدثنا أبو عبد الله محمد بن المعلّى بن عبد الله الأزدى إملاءً قال أنشدتنا قبيحة مولاة العباس بن الحسن قالت أنشدنا أبو بكر بن العَلّاف لنفسه :

=وكان صالحًا قليل الكلام ، مضى على الصحة والاستقامة . . . توفى ذاكر بن كامل يوم السبت عشية سادس رجب سنة إحدى وتسعين وخمسمائة عن ست وثمانين سنة تقريباً . . . » . « نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ٥٩٢٢ الورقة ٤٩ » وله ترجمة فى تاريخ الإسلام للذهبى « نسخة الدار المذكورة ١٥٨٢ الورقة ٦٠ » جاء فيها أنه كان أمياً .

(١) كان من ذرية المتوكل على الله ويعرف بابن شُفْنيْن ، ولد سنة ٥٤٩ وسمع الحديث من عدة شيوخ وتفرد بالرواية عن بعضهم ، وكان جليل القدر فاضلاً حسن الطريقة ، توفى فى بغداد سنة « ٦٤٠ » هـ . « التكملة لوفيات النقلة ، نسخة مكتبة البلدية بالإسكندرية ، ج ٢ الورقة ٢٩٧ » .

كأنَّك بالمَصْرَعِ الكائِنِ وجِسْمِكَ فى صورة البائِنِ
وقد صِرتَ فى أَمَلٍ خادعٍ كذُوبٍ إلى أَجَلٍ حائِنِ
وقام الذى صُنْتَهُ بُرهَةً يَحُثُّ على نُقْلَةِ الصائِنِ
فَمِنْ ناقلين إلى غاسِلٍ إلى حاملين إلى دافِنِ
فلمَّا ارْتُهِنْتَ بدار البِلَى حَصَلْتَ على العمل الرَّاهِنِ (٤٦و)
وقد كُنْتَ تَسْكُنُ فى ظاهرٍ فأصبَحْتَ تسكُنُ فى باطِنِ
سَتَتْرُكُ بيتاً وَثيقَ البِناء إلى بيتك المظلم الواهِنِ
وداراً يعيشُ بها السَّاكنونَ إلى مَنزِلٍ مَيِّتِ الساكِنِ
فلا يَغْبِنَنَّ امرؤ نَفْسَهُ فَوَيْلٌ مِنَ الغَبْنِ للغابِنِ

سِتُّ النساء بنت طُولُون التركى

كانت ذاتَ أموال عظيمة، ونِعمة ظاهرة، وعَطاء وافر. قرأتُ على العَدل محمد بن محمود بن الحسن الشافعى قلت له: قرأتَ على أبى عبد الله[1] الحنبلى بأصبهان. فأقَرَّ بِه، قال أنبأنا أبو المحاسن الجوهرى قال أخبرنى

(١) المشهور بهذه الكنية فى عصر محب الدين محمد بن النجار الشافعى بأصبهان «أبو عبد الله محمد بن مكى بن أبى الرجاء الملقب تقى الدين» ذكره الذهبى فى تاريخ الإسلام فى وفيات سنة ٦١٠ هـ.» قال: «محمد بن أبى الرجاء أبو عبد الله الأصبهانى الحافظ، أحد من عُنِى بهذا الشأن، وطلبه وأكثر منه. سمع . . . وروى عنه الزكى البرزالى والضياء المقدسى وجماعة من الرحالين، وأجاز . . .» . «نسخة دار الكتب الوطنية بباريس ١٥٨٢، الورقة ١٨١»، وله ترجمة فى ذيل طبقات الحنابلة «١ : ٦٥».

[٤٦ظ] طفربس[١] الداعى العلوى فى كتابه عن أبى الحسن محمد بن القاسم الفارسى قال سمعت أبا نصر منصور بن عبد الله الأصبهانى يقول : سمعتُ على بن عبد الجبار الصوفى يقول : زَوَّجَت ستُّ النساء بنت طولون لُعبَةً من لُعَبها فأنفقت فى وليمتها مائة ألف دينار ، فلم تلبَثِ الكثيرَ من دَهرها حتى رأيتُها فى سوق بغداد تتعرَّض للسؤال، فرآها بعضُ الأغنياء فعَرَفَها فقال لها: أين ما كنتِ فيه مِن النعيم؟ قالت : كُنا نَرْصُدُ نوائبَ الدهر فجاءَتنا وتركَتْ ديارنا بلاقع . قال : فما تَشتهين ؟ قالت : مِلْءَ بَطنى طعاماً . فقال: هذا وكيلى، انصرفى إلى المنزل . وأمر لَها بعَشَرة آلاف درهم . فقالت : يا أخى عليك بمالك ، بارك الله لك فيه ، أما إنَّهُ قد كان عندنا أكثر من ذلك فلم يَبْقَ . وأكلَتْ شيئاً وولَّتْ وهى تقول :

دع الدُّنيا لعاشقِها ... سيُصْبِحُ مِن ذَبائِحها
أرى الدنيا وإنْ مُدِحَتْ ... تَنُصُّ على فضائحِها
فلا تغـرُرْك رائحةٌ ... تُصِيبُك من روائحِها
فإنَّ سُرورَها سُمٌّ ... وحَتْفك فى مَنائحِها
ومُطربُها بِمعزَفه[٢] ... يؤوبُ إلى نَوائحِها

(١) هكذا ورد فى نسخة الأصل والذى نعْلمه قريباً منه « ظفر بن الداعى العلوى » قال منتجب الدين على بن عبيد الله بن بابويه فى تتمة فهرست رجال الشيعة : « السيد أبو الفضل ظفر بن الداعى بن مهدى العلوى العُمرى الأستراباذى ، فقيه صالح ، قرأ على الشيخ أبى الفتح الكراجكى » . « بحار الأنوار ٢٥ : ٧ » ونقل هذا الكلام ابن الحر العاملى فى كتابه « أمل الآمل » .

(٢) فى الأصل « بمعرفة » ولا محل للمعرفة فيه وإنما العبرة فى صيرورة المطرب بمعزَفه إلى النوائح .

سَرِيرةُ الرائقيّة(١)

ذكر ثابت(٢) بن سنان بن قُرَّة أنَّها كانت مولَّدةً سمراء، حَسَنةَ الغناء، وكانت لابنة ابْنِ حمدون النديم، فاشتراها منها أبو بكر محمد بن رائق الأمير [٤٧ظ] بثلاثة عشر ألف درهم، وأَخذ منه ابن حمدون ألف دينار، على سبيل الدِّلالة، ورُزِق منها أبو بكر ولداً لم يَعِش. وقُتِل ابن رائق عنها فتزوجها أبو عبد الله الحسين بن سعيد بن حمدان. وتُوفيَت يوم الثّلاثاء لثلاث عَشْرة ليلة خلت من رجب سنة ثمان وأَربعين وثلاثمائة.

---

(١) منسوبة إلى أبي بكر بن رائق الآتي ذكره في ترجمتها، وأخبار محمد بن رائق مستفيضة في التواريخ، وقد قتل سنة ٣٣٠ «الأوراق: أخبار الراضي والمتقي» لأبي بكر الصولي «ص ٢٢٦» وغيرها وتجارب الأمم لمسكويه «٦: ١٩ — ٢٨» والكامل في حوادث سنة ٣٢٩ وسنة ٣٣٠.

(٢) ترجمة القفطي في تاريخ الحكماء «ص ٧٧ من الطبعة المصرية وابن خلكان في ترجمة جده «ثابت بن قرّة بن هارون». «الوفيات ج١ ص ١٠٧ من طبعة بلاد العجم». قال القفطي: «وعمل ثابت هذا كتاب التاريخ المشهور في الآفاق الذي ما كتب كتاب في التاريخ أكثر مما كتب وهو من سنة نيف وتسعين ومائتين وإلى حين وفاته في شهور سنة ثلاث وستين وثلاثمائة (كذا) وعليه ذيل ابن أخته هلال بن المحسن بن إبراهيم . . .». مع أنه ذكر أن وفاته كانت سنة «٣٦٥».

خَاتُون[١] السَّفَرِيَّة

كانت حَظِيَّة السلطان مَلِكْشاه . وَلَدَتْ له محمدًا وسِنْجَر[٢]، وكانت تَتَدَيَّنُ ، وكان لها سَبِيل[٣] يُخْرَجُ إلى طريق مكَّة ، وبحثَتْ عن أُمِّها وأَهلِها حتى عرفت مكانَهم ثم بذلت الأموال لمن أَتاها بهم ، فلمَّا وصلُوا إليها ودخلت أُمُّها عليها، وكانت فارَقَتْها منذ أَربعين سنة، جَلَسَت بين جَوارٍ يُشْبِهنها حتَّى تنظر هل تعرفها أَم لا ؟ فلما سمعت الأمُّ كلامَها (٤٨ و) نَهَضَت إليها فقبَّلَتْها واعتَنَقَتا ، وأَسلمَت الأمُّ . ولما تُوفيَت خاتون قعد لها السلطان محمود فى العَزاء[٤] . وهذه المرأَة [تذكر][٥] فى نوادر التاريخ لأَنَّهم قالُوا : لا نعلم امرأَةً ولدت خليفتين أم ملكين سوى وَلَّادة[٦] بنت

---

(١) ترجمها أبو الفرج بن الجوزي فى المنتظم « ٩ : ٢٢٨ » ومرآة الزمان « مخ ٨ ص ٩٨ » وكانت وفاتها سنة « ٥١٥ » .

(٢) ترجم ابن خلكان « سنجر » فى باب السين من الوفيات ومحمداً فى باب الميم ،وترجمة ملكشاه مثبتة فى المنتظم « ٩: ٦٩ » وأخبارهم جميعًا مذكورة فى كامل ابن الأثير وكذلك تراجمهم ، وللسلطان محمد ترجمة فى مختصر مرآة الزمان « ٨ : ٦٩ » .

(٣) السبيل فى طريق مكة هو مثل ما ذكر فى ترجمة سلجوقى « ص١١٨ » من إخراج الصدقات فى الطريق المذكور من الماء والزاد والعتاد والأدوية للمحتاجين والمرضى .

(٤) راجع كيفية القعود للعزاء والوعظ فيه « المنتظم ٩ : ٢٢٢ » .

(٥) زيادة واجبة نقلتها من المنتظم .

(٦) هى ولادة العَبْسية ، ذكرها أبو الفرج الأصبهانى فى الأغانى « ١ : ٢٣٩ طبعة دار الكتب المصرية » والطبرى فى تاريخه « ١ : ١١٧٤ طبعة ليدن » وابن عبد ربه فى العقد « ٢ : ٣٢٧ طبعة مصر الأولى » .

العباس، فإنَّها ولدت لعبد الملك الوليدَ وسليمان ووُلِّيا الخلافة، والخَيْزُران ولدت للمهديّ الهادىَ والرشيد، ووُلِّيا الخلافة، وشاهفِرنْد[١] ولدت للوليد يَزِيدَ وإبراهيم[٢] ووُلّيا الخلافة. وهذه وَلَدَتْ لملِكشاه محمداً وسِنْجَر ووُلِّيا السلطنة.

خاتون[٣] زوجة السُّلطان مَلِكْشاه

وهى أم السلطان محمود[٤]، تُوفى أبوه وهو صغير، فَوُلِّىَ المُلكَ بعدَهُ (٤٨ط)

(١) ورد ذكرها بهذه الصورة فى النجوم الزاهرة « ١ : ٢٩٩ طبعة دار الكتب المصرية »، وجاء فى تاريخ الطبرى فى حوادث سنة ١٢٤ هـ. من خلافة يزيد بن الوليد بن عبد الملك بن مروان، وفى الكامل « شاه آفريد » وفى بعض نسخ مروج الذهب للمسعودى « سارية » وهو تصحيف « ٣ : ١٥٧ طبعة دار الرجاء بالقاهرة». وهى شاهفرند بنت فيروز بن يزدجرد وآخر ملوك الفرس الساسانيين قيل إنَّ قتيبة بن مسلم الباهلىّ والى خراسان من قِبل الوليد بن عبد الملك غزا ما وراء النهر فظفر بابنتى فيروز فبعث بهما إلى الحجاج بن يوسف الثقفى فبعث الحجاج بإحداهما وهى شاهفرند إلى الوليد المذكور فأولدها يزيد ابنه.

(٢) فى مروج الذهب « ٣ : ١٥٣ » أن أم إبراهيم كانت تسمى « بربرة ».

(٣) تقدمت الإشارة إليها فى ترجمة ابنتها « ماه ملك » «ص١٠٩»، وفى المنتظم لابن الجوزى « ٩ : ٦٢ » أن اسمها « زبيدة خاتون » ثم ترجمها باسم « تركان خاتون » « ٩ : ٨٤ » وفى الكامل فى حوادث سنة ٤٨٥ أن اسمها « تركان خاتون » وهو المشهور كما جاء فى «أخبار الدولة السلجوقية ص ٧٤، ٧٥» لصدر الدين الحسينى، وأخبارها فى المنتظم « ٩: ٦٠، ٦٢، ٦٣، ٦٧، ٨٤ » ولها فى النجوم الزاهرة خبر « ٥ : ١٦٢ »، وقد جاء فيه أن « زبيدة » هى والدة « بركيارق ابن ملكشاه ». وكذلك فى أخبار الدولة السلجوقية « ص ٧٥ »، ٧٧ لصدر الدين الحسينى و« ص ٧٦ » من أخبار الدولة السلجوقية للعماد الأصبهانى.

(٤) أخباره مع أخبار والدته تركان خاتون فى المراجع المقدم ذكرها، وفى =

بتدبير أُمّهِ وكان مَعها عَشرة آلاف مملوك تُركى؛ دَبَّرت المُلك وقادتِ الجيوش إلى أن تُوفيت فى شهر رمضان من سنة سَبع وثمانين وأربعمائة . ولما ماتت انحلّ أمر ابْنِها محمود بموتِها ، وتَعَقَّبَ ذلك موتُهُ فى شوَّال مِن السنة المذكورة .

زُبَيْدَة[1] بنت بَرْكِيارُق

زوجة السلطان مَسعود[2] ، كانت جميلةً ، موصوفةً بالحسن، تُوفيت فى سنة اثنتين وثلاثين وخمسمائة .

(تمَّ كتاب جِهات الأئمة الخُلفاء من الحرائر والإماء مَع ما أُضيفَ إليه من مشهورى (كذا) جهات السَّادة الأُمراء ، والجِلَّة من الوزراء،

= أخبار الدولة السلجوقية لصدر الدين الحسينى «ص ٧٤»، ولعماد الدين الأصبهانى « ص ٧٦ طبعة القاهرة » .

(١) ذكرها العماد الأصبهانى فى أخبار الدولة السلجوقية « ص ١٦٠ » وذكر أبو الفرج الجوزى وفاتها بهمذان فى سنة« ٥٣٢ » كما ذكر المؤلف . « المنتظم ١٠ : ٧٤ » . وكذلك ابن الأثير فى حوادث السنة المذكورة من الكامل . ولا يزال قبرها معروفاً بهمذان فى إيران ، وقد أخبرتُ به عند كونى بهمذان سنة ١٩٥٤ . ولا يصح أن ينسب إليها غير هذا القبر ولا أن ينسب القبر إلى غيرها .

(٢) هو مسعود بن محمد بن ملكشاه بن ألب أرسلان السلجوقى المتوفى سنة « ٥٤٧ » وكان سلطاناً فاتكاً ظالماً سكيراً سيئ الحكم ، له ترجمة فى وفيات الأعيان « ٢ : ٢١١ من طبعة بلاد العجم » وهى أصح من الطبعات الأخرى . والمنتظم « ١٠ : ١٥١ » ومرآة الزمان « مختصر ج ٨ ص ٢١٢ » والكامل فى حوادث سنة ٥٤٧ وأخباره كثيرة فى كتب التاريخ مثبتة فى حوادث سنى حكمه وإمارته .

فى يوم الثلاثاء رابع شهر رجب الفرد سنة تسعمائة ، وصلى الله على سيدنا محمد – صلى الله عليه وسلّم – وحسبُنا الله ونعم الوكيل ، على يد مُعَلقها لنفسه محمد بن سالم الحبانى[1] « ؟ ») .

(١) ذكر شمس الدين الذهبى الأنساب المقاربة لصورة هذه الكلمة الخطية فى المشتبه وهى « الجيانى والجبائى نسبة إلى جبَأ من قرى اليمن والجنابىّ والحيانى ، ولم نقف على اسم المعلق فى كتاب آخر لنعلم إلى أى هذه الأنساب قد نسب ؟ .
ومن الأنساب القريبة له أيضاً « الحنّائى » .

ملحق

(١) مما يلحق بأخبار «مؤنسة المأمونيّة» الواردة ترجمتُها فى الصفحة ٧٩ من هذا الكتاب خبرٌ جاء فى كتاب نشرته « دائرة المطبوعات والنشر » فى الكويت ، سُمى « الذخائر والتحف » وهو مجهول المؤلف ، وقد نُسب إلى القاضى الرشيد ابن الزبير(١) وكتب تحته (القرن الخامس الهجرى) وكل ذلك خطأ على خطأ وهذا نصه :

« وأهدت مؤنسة ، جارية المأمون بالله – إلى مُتَيَّم جارية على بن هشام ، وقد افتصدت ، وكان بينها وبين مُتيَّم فى حياة على بن هشام مكاتبة ومُواصلة ، لمعرفة كانت بينهما ، قبل مصير كل واحدة منهما إلى صاحبها ، فأهدت إليها بعلم المأمون مِخْنقةً واسطتُها دُرّة مثل بيضة العصفور ،

(١) ذكر محقق الكتاب الدكتور الفاضل محمد حميد الله فى مقدمة الكتاب أنه مع سعيه لم يعثر على ترجمة القاضى الرشيد ، – ص ١٢ – مع أنه مترجم بتفصيل فى خريدة القصر للعماد الأصفهانى « ١ : ٢٠٠ – ٢٠٣ » ومعجم الأدباء « ١ : ٤١٦ » وكتاب الروضتين « ١ : ١٤٧ » ووفيات الأعيان « ١ : ٥٣ » ، والنجوم الزاهرة « ٥ : ٣٧٣ » وبغية الوعاة « ص ١٤٦ » وشذرات الذهب « ٤ : ١٩٧ ، ٢٠٣ » وغيرها . صلب القاضى الرشيد أبو الحسن أحمد بن على بن إبراهيم بن الزبير فى سنة ٥٦٢ بالقاهرة . فهو من رجال القرن السادس الهجرى لا القرن السادس ونسبة الكتاب المذكور إليه وهو من تأليف القرن الخامس – خطأ مبين يجب إصلاحه ، ولعله من مؤلفات ابن بابشاذ المشهور .

ودَخارس[١] قيمتها عشرة آلاف دينار وأربعة أحجار ياقوت أحمر، وأربعة أحجار زمرد عن يمينها وشمالها بين خرائد ذهب ، وباقى المخنقة بَلَح مضمَّخ بغالية ، فاستطرفت مُتيَّمُ البَلَح المضمَخ بالغالية واستطابته ، وما أكثرت فرحاً بالباقى من الجوهر[٢] » .

(٢) وورد فى الكتاب المذكور من أخبار « فضل الشاعرة » المقدم ذكرها فى هذا الكتاب « ص ٨٤ » قوله : « وأهدت فضل الشاعرة إلى سعيد بن حميد وكان يهواها ، فى يوم فصاده هديةً كان من جملتها ألف جَدْى وألف حَمَل وألف دجاجة فائقة وألف طبق فاكهة وريحان وشراب وطيب كثير ونخب حسان[٣] » .

(٣) ومن أخبار « قطر الندى بنت خمارويه » — ص ١٠٤ قوله : وأهدت قطر الندى بنت أبى الجيش خمارويه إلى المعتضد بالله ، فى يوم نيروز ، من سنة اثنتين وثمانين ومائتين ، هدية كان فيها عشرون صينيّة ذهباً ، فى عشر مَشامُّ عنبراً ، وزنُها أربعة وثلاثون رطلاً ، وفى عشر

---

(١) وردت هذه الكلمة فى المطبوع المذكور بصورة « دخارس » ومعها « كذا » لخروجها عن تحقيق محقق الكتاب والصواب « دخارس » جمع الدخرسة وهى الدخريصة وهى بنيقة القميص كما فى القاموس ، وقال محمد بن أبى الخطاب القرشى « بنائق القميص وهى الدخاريص تضيق من أعلى وتتسع من أسفل » . جمهرة أشعار العرب ص ١٧٧ » .

(٢) الذخائر والتحف أو الهدايا والتحف « ص ١٩ » .

(٣) المرجع المذكور « ص ١٩ » .

منها عشر مَشامّ ند معجون (كذا) وزنها أربعة وثلاثون رطلاً ، وعشرون صينية فضة فى عشر منها عشر مشام صندلاً ، وزنها خمسون رطلاً محرما : وفى العشر الأخرى عشر مشام زعفران (كذا) وزنها خمسون رطلاً ، وعشرون صينية ذهباً مجرى بزجاج ، فى عشر منها عشر مشامّ مِسكاً ، وزنها نيف وثلاثون رطلاً ، وخمس خِلَع وشياً ، قيمتها خمسة آلاف دينار ، وعملت سَماجات[١] ليوم النيروز بلغت النفقة عليها ثلاثة عشر ألف دينار ، وأُخرج من القصر ثلاثون وصيفةً يرقُصنَ مع الفراغنة ، وكان مما عُمل للمعتضد قبةُ أَبنُوسٍ ارتفاعُها عشرة أذرع ، وتحتها سَرِير أَبنوس إلى ثلثيها مُضَبَّب بالذهب يُصعد إليه بدرج ، وجُعل خلالها ثياب رقاقٌ ليرى منها ما مضى عليه[٢] من الدراهم ، وكان قد أَعْتَدَ[٣] لذلك دراهم بقيمة ثلاثة عشر ألف دينار ، فى كل درهم ثلاثة دراهم ، وكان فيما أهدت إليه بنت أبى الجيش فى هذا اليوم بيت رشيدى وبيت طبرى مذهب ، فاستحسنهما ، ووجَّه المعتضد إلى أبى الجيش وإخوته بِخلعٍ قيمتُها ثلاثة وخمسون ألف دينار[٤] » .

---

(١) جمع السماجة وهى احتفال وملابس لما يشبه الكرنفال عند الغربيين .
(٢) هكذا ورد فى المطبوع ، ولعل الأصل « ما يفض» أى ما يفرّق وينثر .
(٣) فى المطبوع « اعتدّ » ولا وجه له .
(٤) الذخائر والتحف أو الهدايا والتحف « ص ٣٨ ، ٣٩ » .

رقم الإيداع	١٩٩٣/٨٠٦٦
الترقيم الدولى	ISBN 977-02-4213-6

١/٩٢/١٣٤
طبع بمطابع دار المعارف (ج.م.ع.)

Dhakhā'ir AL'Arab

28



NISĀ' AL KHŪLAPHĀ'

Edition Critique

Par

Dr. Mustafa Gawad

Second Edition

